

الطريق إلى

الله تعالى

للإمام المجدد السيد محمد ماضي أبي العزائم.
مسجده وضريحه ومكتبته العلمية بالقاهرة
ومشيخة الطريقة العزمية
السيدة زينب : تقاطع شارع مجلس الشعب مع تقاطع شارع
بورسعيد

تليفون المكتبة

002 022 3901030

طبع بإذن من

ال خليفة الثاني

السيد عز الدين ماضي أبو العزائم رحمته الله



جميع حقوق
الطبع والنشر والترجمة والاقتباس والتصوير
محفوظة
لدار المدينة المنورة
التابعة
لمشيخة السادة العزمية ١١٠ ش مجلس الشعب - القاهرة
طباعات الكتاب
الطبعة الأولى : ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م
الطبعة الثانية : ١٤٠٥هـ - ١٩٨٤م

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

إلى روح أم آل العزائم التي أدت الأمانة.

إلى روح أم آل العزائم التي وفّت بعهد الله.

إلى روح أم آل العزائم التي أحسنت الكفالة.

إلى روح أم آل العزائم التي صبرت في ذات الله.

إلى روح أم آل العزائم المرضية المرضية التقية النقية.

إلى روح أم آل العزائم التي جاهدت حتى أتاها اليقين.

إلى روح أم آل العزائم التي مضت على الإيمان طاهرة زكية.

تهدي كتاب : (الطريق إلى الله تعالى)

فرضي الله عنها، وجعل الجنة منزلها ومأواها، وسلام عليها وعلى روحها وبدنها الطاهر.

بسم الله الرحمن الرحيم

فاتحة الكتاب

الحمد لله عماد من لا عماد له، و ذخر من لا ذخر له، وحرز من لا حرز له، وعز من لا عز له، وغيث من لا غياث له، وسند من لا سند له وكتر من لا كتر له، والصلاة والسلام على حامل لواء الحمد، وإمام الرسل والأنبياء، الشافع المشفع، يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم، سيدنا ومولانا محمد، وعلى آله أعلام الهدى، وأهل التقى، سادات أهل الجنة أجمعين، وشفعاء يوم الدين، وأئمة أهل الأرض على اليقين - وعلى صحابته الهادين المهديين. ورضى الله تبارك وتعالى عن إمامنا الإمام المجدد السيد محمد ماضى أبو العزائم عليه السلام، ونضر الله وجه خليفته الأول الإمام السيد أحمد ماضى أبو العزائم عليه السلام، آمين.

وبعد:

فتقدم دار المدينة المنورة وهى إحدى الهيئات التابعة لمشيخة السادة العزمية، الطبعة الثانية من كتاب: «**الطريق إلى الله تعالى**» للإمام المجدد السيد محمد ماضى أبو العزائم عليه السلام، وهو يضم سلسلة المحاضرات التى كان يلقيها الإمام المجدد عليه السلام، والتى قامت مجلة المدينة المنورة بنشرها.

وقد قامت دار المدينة المنورة، بجمع هذه المحاضرات وتبويبها، حتى بدت فى هذا الكتاب الذى بين يدى القارئ المسلم.

وهذا الكتاب حلقة جديدة، تساهم - مع ما سبق من كتب الإمام رضوان الله عليه - في بيان الطريق إلى الله تعالى، وكثائف الجهالات التي عليه، والآداب التي يجب أن يتحلى بها السالك.

إن أساس الطريق إلى الله هو محبة الله تعالى إعظاما وإجلالا، ومحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم تسليما وانقيادا، وإيثار كل مسلم على نفسه بأن يجب له ما يحبه لها، ويؤثره عليها في الخير، لأننا جمعنا الله تعالى لنجدد ما خفى من معالم سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم علما وعملا وحالا، ولنحي ما اندرس من أنوار كتاب الله تعالى علما وشهودا وتسليما ورضاء، ونعيد الماضي بما كان عليه سلفنا الصالح نفعا لله بهم، ليكون الله تعالى معنا وعندنا، ونكون مع الله تعالى وعنده سبحانه.

إن من أعظم الواجبات على عاتق الهيئات الإسلامية التي تدعو إلى الطريق إلى الله تعالى؛ أن تخلص نياتهما، وتتره أساليبيها في الدعاية إلى مبادئها، عن كل ما يورث الوهن والفسل، ويؤدى إلى الفرقة في صفوف المسلمين، وأن تتقى الله فيما تقول، ولا تكتم الحقائق، ولا تنشر الأباطيل، ولا تعتمد فيما تنشر من كتب - لشبابنا المسلم - على الزور والبهتان، والافتراءات الظالمة التي تؤدى بشبابنا إلى الضلال، وإثارة العصبيات البغيضة الممزقة لجسم الأمة الإسلامية، والمفرقة للجماعة، والدافعة للجهلاء على تنمية التباغض والصدام.

كما يجب على هذه الهيئات الإسلامية التي تدعو شبابنا إلى الطريق إلى الله تعالى، أن تنتهج أسلوب الأنبياء عليهم السلام، في المناقشة والجدال، والدعوة إلى الحق، على ضوء ما أدبنا الله به في كتابه العزيز حيث قال عز اسمه: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا

أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا يَأْتِيهِمْ أَحْسَنُ ﴿العنكبوت: ٤٦﴾ وقوله سبحانه : ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ النحل: ١٢٥ فأحرى بها أن تتبع هذه الآداب عندما تدعو شبابنا إلى الطريق إلى الله تعالى، لتحاول اجتذابهم إليه. وإن كان لابد من المناقشة في المسائل الخلافية بين المسلمين ؛ فيتعين عليها أن تبتعد عن الغلط في القول، وأن تتره ألسنتها التي تزعم الدعوة إلى طريق الله عن أساليب الشتم و السب والفحش والافتراء، فلا تجيز الحكم بضلال أحد، أو فسقه، فضلا عن شركه وكفره، لمخالفته في أمر اجتهادي ليس من ضروريات الدين، ولا يجوز معارضته وممانعته، واتهامه أنه من أهل البدعة، لإجباره على اتباع قول غيره مما يخالف اجتهاده.

فالداعى إلى الله يجب عليه أن يتحلى باللين واللطف، المستند على العلم والمعرفة، وحمل أقوال المسلمين وأفعالهم على المحامل الصحيحة ما أمكن، والاجتناب عن المزاعم والظنون الباطلة، ومتابعة الهوى، والعصبية الممقوتة. وصدق الله العظيم حيث يقول: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ الإسراء: ٣٦.

يقول الإمام أبو العزائم عليه السلام في نصائحه لإخوانه : (إخواني : اتقوا الله في عباده، وعليكم أنفسكم، فاجلوا مرآة قلوبكم بعمل القلوب، واشتغلوا بذنوبكم، فإنكم محاسبون عليها لا على ذنوب غيركم، وارجموا عباد الله تعالى، ذكروهم بالحسن، عظومهم باللين، أعينوهم بفضل أموالكم وجميل كلامكم، وأحبوا لهم ما أحببتهم لأنفسكم).

إن دعوة الإمام أبو العزائم عليه السلام لتستعيز بالله من المنتحلين للعلم والإرشاد، ممن لا يحمل سلاحاً للدفاع عن آرائه إلا الشتم والافتراء والمغالطة، وتسميم شبابنا المسلم بغير علم، بل على خلاف العلم، وكأنهم لم يسمعوا قول الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَذِبُونَ ﴾ النحل:

١٠٥.

كما تستعيز دعوة الإمام أبي العزائم عليه السلام من كتاب يؤثرون خصائصهم الطائفية على الأخوة الإسلامية، فيؤيدون شذوذهم الفكري بما يذهب بوحدة الأمة الإسلامية.

وإننا لنسأل هذه الهيئات الإسلامية: ماذا تقصد من كتاباتها المملوءة حقداً على التصوف والصوفية وأولياء الله الصالحين ؟ غير تشويه جوهر الإسلام بتشويه التصوف في أعين شبابنا، ومعاداة أولياء الله الصالحين.

يقول الإمام أبو العزائم عليه السلام : (الصوفية هم الذين صفت قلوبهم من شوائب الكون، وتطهرت نفوسهم من رجس الشهوات، وتعلقت همهم بالله تعالى، ففنوا عن كل ما سواه، ووجهوا وجوههم شطره، لم تحجبهم الكائنات عن شهود مبدعها، ولم تشغلهم الآيات الجليلة عن فهم إشاراتها وذوق معانيها، هم عبيد الله السائرون على منهج نبيه (ص وآله) : ، وهم الذين تلقوا أسرار التوحيد وأنوار الحكمة، بقلوب واعية، ونفوس صافية، عن العلماء العارفين بالله، ورثة رسول الله (ص وآله) : .

فالتصوف هو الجهاد في أعلى ذراه، والعلم في أصفى موارده، والخلق في أعلى

مثله، والإيمان في أسمى أنواره وإشرافاته، أما أولياء الله الصالحون فقد تكفل المولى سبحانه بحمايتهم في قوله تعالى: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ يونس: ٦٢ وفي قول رسول الله (ص وآله): « مَنْ آذَى لِي وَلِيَا فَقَدْ آذَنَهُ بِالْحَرْبِ... »^(١).

أما كان أخرى هؤلاء - عوضاً عن بث هذه السموم - أن يكتبوا حول الإسلام، وبيان عظمتها، وحقائقه السامية، ومفاهيمه الراقية، ليذبوا إليه هذه الأجيال التائهة، خصوصاً في عصرنا المادى هذا؟ أو أن يكتبوا الحقائق التى تقرب بين صفوف المسلمين، وتؤلف بين مختلف المذاهب الإسلامية، وبذلك يكونوا قد أدوا ما أوجبه الله عليهم من الدعوة إلى طريق الله بالحكمة والموعظة الحسنة.

إن كتاب: « الطريق إلى الله تعالى » يرشدك إلى الصراط المستقيم، الذى يتعين على شبابنا المسلم أن يسلكه، ولا يتبع السبل التى تبعده عن الصراط المستقيم.

ولأخلى بينك وبين الكتاب، سائلاً المولى سبحانه وتعالى أن يجمع شمل الأمة الإسلامية، ويلم شعثها، ويرتق فتقها، وينصرها على القوم الكافرين.

مشيخة السادة العزمية الخليفة الثانى

السيد عز الدين ماضى أبو العزائم عليه السلام

فى يوم الخميس

٢٨ ربيع أول ١٤٠٥ هـ - ٢٠ ديسمبر ١٩٨٤ م

(١) رواه أبو هريرة واللفظ: (من عادى) راوية البخارى.

الباب الأول

الطريق وآدابه

حكمة الخلق

الإخلاص في العبادة :

هذا هو مبحث المباحث الذى تجب العناية به، وهو المقصود بالذات من كل مواضيعنا هذه، لأن الله جل جلاله ما خلق الخلق إلا لحكمة واحدة، هى عبادته بإخلاص، وقد يسر لهم كل ما يحتاجون إليه فى حياتهم الدنيا مع المزيد.

فأجرى لهم الأنهار، وأنزل لهم الأمطار، وخزن لهم الماء فى بطون الأرض، و هو العنصر الوحيد لحفظ حياة كل حى من نبات وحيوان وإنسان، فمنح الله الإنسان الماء أكثر مما يحتاج إليه. ولكثرته انصب فى البحار الملحة، حتى يعلم الإنسان أن الله تعالى رزقه أكثر من كمالياته.

وخلق له الهواء وجعله معه حيث كان، حتى فى قاع البحار، وفى مغارات الجبال، فغمر كل مكان خال بالهواء. وخلق النور والحرارة كذلك. وجعل الأرض كلها كنوزا للإنسان يفتتحها بأقل عمل. و جعل له سبحانه فى كل حركة يتحركها بركة، إما عاجلة له فى الدنيا، وإما آجلة له فى يوم القيامة.

ومن ساح بفكره فى نفسه وفيما أحيط به، ينقلب إليه فكره خاسئا وهو حسير، عاجزا عن حصر ما شاهده من أنواع النعم التى لا تحصى، والمنن التى لا تستقصى، معترفا بما أنعم عليه الله من الفضل العظيم، وما أوصله إليه من الخير

العميم، ولكن قتل الإنسان ما أكفره. هذا ما يمكن للفكر أن يكشف به من أنواع الخيرات، وكيف بما هو فوق ذلك من خفى الألفاف، وسريع الإسعاف، وجلى العناية، وعظيم الهداية، وواسع الإحسان وخير الحنان، فسبحان من لا يعلم قدره غيره، ولا يبلغ الوصفون وصفه.

بادرة ما يلوح لمن تفكر فى نفسه وفيما حوله:

كل تلك الخيرات المتواليّة، والبركات المفاضة بالفضل والإحسان ورضا الله عنا، بعد أن تفضل بها علينا، توجب نشكره عليها، فإذا وفقنا وشكرناه ؛ وهب لنا ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، من الفيض الأقدس الذى يواجه به أرواحنا، و من الأنوار التى يجعلها فى قلوبنا، و من العناية منه سبحانه بتوفيقنا لمحابه ومراضيه، حتى نكون كأنا معه سبحانه، ويكون جل جلاله معنا فى هذه الحياة الدنيا، فتكون لنا العزة بالله تعالى.

ثم بعد أن يتفضل علينا بهذا الفضل العظيم، ينسبه إلينا وهو الفاعل المختار، ويتقبله منا كأننا أوجدناه وأحدثناه بقوة منا - و لا حول و لا قوة إلا بالله - فى كل شأن من الشؤون. وهذا فضل على فضل. ثم يتفضل سبحانه بما هو أجل وأعظم، فينعمننا بجوار قدسه بالملك الكبير، ويؤنسنا على بساط منادمتة، وموائد كرامته، حيث الحبور الذى لا يصفه الوصفون، والمسرات التى لا تفى بها عبارة ولا إشارة، فسبحان ذى الفضل العظيم.

تفضل سبحانه فأوجد الإنسان، ثم تفضل فوهبه الخير العظيم، ثم تفضل فهداه الصراط المستقيم، ثم تفضل فنسب إليه هذا العمل الصالح، وهو الذى خلقه فيه،

وأعانه عليه، ثم تفضل فجازاه خير الجزاء اللائق بذى الفضل العظيم، فله الحمد
ملء السموات والأرض، وملء ما شاء من شيء بعد.

فهذه بادرة ما يلوح لمن ساح بفكره في نفسه وفيما حوله، فكيف بمن ساح في
ملكوت الله الأعلى، مقتبسا طرائف العرفان، وأنوار الإحسان، من مشكاة الأنوار
المحمدية ؟ !

إلى هنا يقف العقل، وتخرس ألسنة العبارات، وتسكن أعضاء الإشارات. قال
الله تعالى : ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ الإسراء: ٨٥ وقال سبحانه وتعالى
لحيبيه ومصطفاه: ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ طه: ١١٤.

التفكر في سوابغ النعم :

إذا حصل المرید بخياله صور الكائنات، وما بها من سوابغ النعمى، وجزيل
الآلاء، وواسع الفضل العظيم، وتجلت له آيات الله مشرقة في نفسه وفي الآفاق،
وانتقشت تلك الصور على جوهر نفسه، فتعقلها عقله، وتدبرها قلبه، فشعر القلب
بأن تلك المواهب العلية، والكنوز الكونية، التي ملئت خيرا له وبركات، لا يحصيها
عدا ولا يستقصيها حدا، لم تخلق عبثا، و لم تترك سدى، و تحقق أن مبدعها القادر
الحكيم، و خالقها القوى العليم، ما تفضل بها سبحانه إلا لحكمة أجلاها للبصائر،
وسر كاشف به الضمائر، وآيات أجلاها للعقول، ولا تخفى على إنسان كائن من
كان، و لكن الأهواء والحظوظ والتقليد هي التي جعلت الإنسان يجهل الطريق
الموصل إلى الحكمة، و السبيل المبين لها.

والحكمة عبادة الله تعالى، والإحبات لعظمته جل جلاله، والتحقق بأنه هو الله لا إله إلا هو، وأن الإنسان عبد أكرمه الله بعظيم فضله، شديد الاضطرار إلى مولاه، دائم الافتقار إليه جل جلاله، وأن مولاه سبحانه هو الغنى المغنى، قال الله تعالى : ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (٥٦) مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ

أَنْ يُطِيعُونِ ﴿الذاريات: ٥٦ - ٥٧﴾

العبادة دليل على محبة الله :

فإذا تجلّت تلك الحقيقة، سارع المؤمن إلى العبادة بأنواعها في أوقاتها، فيؤديها بآدابها، فيحافظ عليها دائما، فإذا وفقه الله تعالى للقيام بما أمره به وترك ما نهاه عنه، تجلّت له حكم تلك الأحكام، وأسرار تلك الأعمال، فعلم قدر نفسه، ونسبته إلى الكائنات، وظهر له جليا أن الكون وما فيه سخر له من الله سبحانه وتعالى، فأحب الله بكل قلبه لما تفضل به عليه، حبا يجعله منجذبا إلى الله بالكلية، قال (ص وآله) : «أحبوا الله لما يغذوكم به منّا لنعم، وأحبوني لحب الله، وأحبوا آل بيتي لحبي» (١) ثم يقوى حبه لله، ويشند شوقه إلى الله تعالى، فتحصل له الرغبة في القيام بنوافل الخير بعد عمل الواجبات، من ذكر وفكر، وخشوع وإحبات، وخوف ورجاء وخشية من الله، ورهبة ورغبة. وكلما أشرقت له أنوار الحكمة فيما قام به من الأحكام بتوفيق الله وهدايته ؛ تجلّت له أنوار الربوبية في نفسه وفي الآفاق، فنما شوقه، وزاد غرامه، حتى تصغر في عينيه الدنيا وما فيها، إلا ذكر الله وما والاه، فينجذب لأهل التقوى والصلاح، وصحبة العلماء الربانيين، و يفر من كل ما يشغله عمن هو موجه وجهه إليه، ولو كان والدا أو ولدا أو

(١) الترمذى فى المناقب والمستدرک فى فضائل أهل البيت.

مالا، خوفا من حجه عما يواجهه من جميل الآيات، و ما ينبلج له من الأنوار في الكائنات، حتى قد يبلغ به الأنس بمشاكله والبهجة بنظرائه، مبلغا يجعل الغريب البعيد المخالف له في لونه ولغته أحب إليه من أبنائه ووالديه، و قد يذل ماله ونفسه في رضائه، أنسه بجلوسه معه، أنس بمن هو موجه وجهه إليه، ونفس أنس بمشاهدة أحب إليه من الدنيا وما فيها.

الطريق

تعريف الطريق:

الطريق هو السبيل، و مأخذه عند الرجال من قوله تعالى: ﴿قَالُوا يَنْقُومَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ الأحقاف: ٣٠ و هو في اصطلاح أهل السلوك إلى ملك الملوك : محو ما بينك وبين الوصول إلى مقصودك.

فالسالك إلى نيل قصده يترك وراءه آثارا كثيرة، حتى يمحو كل بين يحجبه عن مقصده، و لذلك فالسالك في طريق الله تعالى ينسلخ من كل ما يحجبه عن الحق جل جلاله، حتى ينمحي البين من البين، وتقع العين على العين، إما مراقبة، أو رعاية، أو شهودا، أو طمأنينة قلب في مقام اليقين الحق، بعد مراتب اليقين علما وعينا.

الطريق وما أدراك ما الطريق :

بغية السعداء المنشودة، وطلبة من سبقت لهم الحسنی المقصودة، تشتاق إلى علم الطريق و بيان معالمه النفوس الزكية، متسلية عن الجاه والملك، رغبة في تحصيل هذا العلم، ومسارعة إلى طلب الدال على الله باليقين الحق.

كثائف الجهالات على الطريق :

ولما كانت معالم طريق الله تعالى، و الأنوار التي تبين سبيل الله تعالى - مع

وضوح دلالة الآثار المشهودة عليها - قد عميت عنها عيون الحس، و جهلتها قوى النفس، وتسلت عنها العقول بما اعتراها من الحجب، بالمسارعة إلى نيل حظوظ النفس والجسم، انكسفت أنوار العقول، وخفيت معالم الطريق إلى الله سبحانه و تعالى، إلا بوازع قوى يجذب الأرواح بعالم رباني، يبين أسرار كتاب الله وسنة رسول الله (ص وآله): ، أو بعصبة ذات شوكة وسلطان وغيره لله ورسوله، تقهر الأجسام التي حجبت الأرواح والعقول بمقتضياتها عن السير على الصراط المستقيم، حتى تستريح العقول والنفوس، فتنفذ بقوة هذا الوازع من كثائف الجهالات، وتتهج على المنهج الحق. ولديها تسلم لله رب العالمين، فتحصل اليقظة للقلب بعد

نومة الغفلة ورقدة الجهالة، و تحصل التبصرة للإنسان بعد علم مبدئه ومعاده، فيشتاق إلى السير إلى الله تعالى، والسلوك على طريق أئمة الهدى المهتدين، ويبحث عن الوسائل التي تبلغه تلك المقاصد العلية، فإذا تاقته نفسه بعد اليقظة والتبصرة، كان من أهل طريق الله تعالى، وتحقق بالإسلام الذي هو التسليم لله شرعا وقدرًا ويسارع إلى تعلم العلم الذي لا بد له منه، و إلى صحبة أهل الخير والتقوى، لأن الحس يريد النفس، والمعاشرة مجانسة، و من أحب إنسانا غلب عليه طبعه، قال (ص وآله): : « المرء مع من أحب » ^(١).

بم ساد أهل الطريق؟:

فأهل الطريق رضى الله عنهم لا يصغر في أعينهم الفقير الذليل ما دام على الحق، و لو قرأت تراجم من سادوا في عصورهم لرأيت أغلبهم من العبيد، أو من

(١) مسند أحمد بن حنبل ج ٤ ص ٤٠٥.

الأذلاء والموالى، أو من أهل المهن الدنيئة.

بم عزوا وبم سادوا؟ بما أظهره الله تعالى على ألسنتهم من الحكمة، وما وهبه لهم من الحب له وفيه سبحانه، وبما وفقهم له من العمل بما علموا، فصاروا عظماء - حتى فى قلوب العصاة والفسقة - لما أظهره الله عليهم من أنوار محبته، فترى الفاسق الفاجر الجبار العنيد، إذا رآهم يخشع قلبه، ويتذلل أمامهم، ويسألهم الدعاء له، وهم فى شطف العيش، ورداءة الثياب، وخشونة الظاهر، ولا ترى أحدا يعاديهم إلا عليم اللسان جهول القلب، أو معاندا للحق خبا لئima، لا يؤمن بيوم الحساب.

كفاهم شرفا أن الله تعالى ألقى عليهم محبة منه سبحانه، فأحبهم الأميون والعامّة والصبيان والنساء، وهى سنة الله فى أوليائه الذين ورثهم أسرار أنبيائه، و لعلك قرأت قوله تعالى: ﴿مَا نَزَّلْنَا إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَزَّلْنَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَأَيْنَا بُادِيَ الرَّأْيِ﴾ هود: ٢٧ ولعلك قرأت حديث البخارى فى باب الهجرة عندما أخرج كفار قريش سيدنا أبا بكر رضي الله عنه، وجاء ابن الدغنة ليمنعهم من إخراجهم، فقالوا: إنا نخشى على نسائنا، لأنهن يجتمعن عليه، و يبكين بيكائه، ويجتمع عليه الصبيان والبسطاء وييكون معه عندما يرتل القرآن باكيا. ذلك لسلامة قلوب العامة، وصفائها من درن الحظوظ والأهواء وحب الدنيا.

منازلات المريدين :

ولا يزال المريد يقوى حاله وينمو، حتى يرى أنفاسه أنفاس من النفائس، ووقته أعز عليه من نفسه، فيبخل أن ينفق نفسا واحدا فى غير منزلة من منازلته، و

للمريد منازلات فى مشاهدات التوحيد ومشاهد العبادات، أين لك ما يمكن أن يسطر على الأوراق فيما بعد بمشيئة الله تعالى، فإن للمريد منازلات فى التوحيد يشهدا علما، ومنازلات فى التوحيد يشهدا عملا فى صلاته وصيامه وزكاته وحجه.

تفاوت همم المريدين :

وفى هذا المقام تتفاوت همم المريدين، وتختلف إرادتهم بقدر الفيض الأقدس، و التزلات الإلهية، والمواجهات الربانية، وتزكية نفوسهم، وفراغ قلوبهم. فمنهم من يقوم بالعبادات على الوجه الأكمل، ثم يحاسب نفسه بعدها فيتحقق التقصير، فينيب إلى الله ويىكى.

ومنهم من يقوم بالعبادات على الوجه الأكمل، ثم يحاسب نفسه بميزان مشاهد التوحيد، فتتجلى له الحقيقة، ويرى نفسه أنه أشرك بنسبة عمله لنفسه، فيتوب ويىكى من الشرك الذى ألم بنفسه فى عمله.

ومنهم من يقوم بالعبادات على الوجه الأكمل، ثم يحاسب نفسه، مشاهدا المنة عليه بالتوفيق والهداية والعناية والمعونة، فيشتد شوقه إلى المنان الحنان، ويستغرق فى الشهود، فلا يفيق إلا وقد دخل واجب الوقت الآخر، فيسارع إلى عمله، وتتجلى له تلك الحقيقة، فيحصل له الاستغراق، وهو حال عن مقام التلوين فى وجد ينتج وجودا وحالا قاهرين عن شهود، وقليل ما هم.

ومنهم من مكنه القوى المتين، وثبت قلبه على دينه القادر الحكيم، فجمع له

سبحانه وتعالى بين شهود عمله الواجب عليه، ومراقبة المنان الهادى الموفق عند كل عمل، وهذا هو الذى من الله عليه سبحانه بالوجود معه، وهو سبحانه معه سر قوله (ص وآله): «كُنْ مَعَ اللَّهِ تَرَى اللَّهَ مَعَكَ» وهذا لا يحاسب نفسه، لأنه واقف بين يدى ربه، فان عن نفسه بمولاه، مستغرق بشهود المنة عليه من الله، وهؤلاء أقل من القليل، وهم الصديقون من أصحاب رسول الله (ص وآله): ، والشهداء من ورثة رسول الله، وتلاميذ الوارث الفرد لرسول الله (ص وآله): .

أحوال تلك المشاهد :

هذا ما يمكن أن أشير إليه بالقول والكتابة، ولكل مشاهد من تلك المشاهد أحوال تغلو أهلها، ومواجيد تقهر من تفضل الله عليهم بها، وفيها يحصل الملام، قال الله تعالى : ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ المجادلة: ١١ وقال الله تعالى : ﴿هُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ اللَّهِ﴾ آل عمران: ١٦٣ وقال الله تعالى : ﴿وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ﴾ الصافات: ١٦٤ وقال (ص وآله): : يقول الله تعالى : ﴿مَنْ أَذَى لِي وَلِيا أَدْنَتْهُ بِالْحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَى عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ أَدَاءِ مَا افْتَرَضْتَهُ عَلَيْهِ، وَلَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أَحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يَبْصُرُ بِهِ﴾ (١).

ومن جهل ما يتفضل الله به على العمال المخلصين، من المواجهة التى تغنيهم عما سواه، كان لومه معينا للسالك على ما هو فيه، فإن الجاهل بحقيقة أمر إذا رأى آخر علم ربح التجارة، فترك الأهل والوطن وسافر، يلوم عليه ويعنفه، ويقيم

(١) رواه أبو هريرة.

عليه الحجة، لأن هذا عناء وعدم ثقة بالله، وتغريز بالنفس، وضياح للعمر. فلا يقبل الآخر قوله، ولا يصغى لحديثه، ويعتقد أن هذا المتكلم جاهل بقدر الخيرات،

جبان، سافل الهممة، ولا يرضى أن يضيع أنفاسه ببيان سبل الخيرات له، لاعتقاده انه لا ينتفع بها، لعلمه بما فطرت عليه نفسه من عدم المسارعة إلى الخيرات.

والسالك في سبيل الله كلما انبلجت له أنوار مشاهدة وجهه الجميل ؛ صغرت في عينه الدنيا، وتلذذ بالآلام في سياحته، وابتهج بما يتألم به أهل البطالة، وكيف يصبر من واجهه الحق بوجهه الجميل وناداه من مكان قريب ؟ أنا ربك ووليك، إلى ففر، وعلى فتوكل، أنا حسبك، من طينة صورتك، ومن ماء مهين صنعتك، ولأجلك خلقت العرش وما يحيط به، وأعددت لك في دار كرامتي مالا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، فسارع يا عبدي إلى مجاورة حظائر قدسي، وواجهتي في مقعد صدق ﴿مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ

وَالصَّادِقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ﴾ النساء: ٦٩.

آداب الطريق

عم يتخلى القلب وبم يتحلى؟:

إن أساس السلوك في طريق الله تجريد القلب، ونحن هنا سنبين لك مم يتجرد القلب، وبم يتحلى ؟ وما هي الصفات التي يجب أن يتجمل بها طالب الله تعالى ؟ ولكي يسهل على القارئ فهم ما نرمي إليه ؛قسمنا الكلام في هذا الموضوع إلى قسمين :

أولاً: التزام أحكام الشرع :

هو مراقبة الله تعالى في سائر الأحوال، و لا يكون ذلك إلا بتأدية الفرائض، وترك المحرمات، و امتثال أوامر الله ، واجتناب نواهيه، والقيام بالنوافل، و تجنب الشبه، مع اعتقاد التقصير و العجز عن أداء ما يليق بجناب الله عز وجل، فلقد قال (ص وآله): « سبحانك لا أحصى ثناءً عليك، أنتَ كما أثنيتَ على نفسك »^(١). وعليه أن يخلص عمله من الشوائب، وأن يجرد نيته عند القيام بالعمل، فيجعلها الصلة لله تعالى، وأن يسلم أموره جميعها لله، ويرضى بقضائه، موقناً أنه لا يكون إلا ما يريد سبحانه، وكل ما أراده فهو خير. وبالجملة، فزمام هذا الطريق الشرع، فمن التزم أحكامه، و تتبع حكمته، وجد في الأخذ بهذه المبادئ سهولة ولذة، واستطاع أن يسير في الطريق بقدوم ثابت، ومن أهمل العمل بأحكام الشرع و عدل عن منهجه ؛ فقد استهوته الشياطين، فضل وأضل، و كان مصيره إلى جهنم وبئس القرار.

(١) من دعاء الرسول ﷺ وآله من كتاب الكلم الطيب.

ثانياً: استئصال المعاصي القلبية :

المعاصي القلبية إذا لم يستأصلها السائر في طريق الله من قلبه ؛ كانت سببا في إحباط عمله.

فمن تلك الخبائث : الحسد، والرياء، والعُجب، والكبر، وفقد الرحمة بعباد الله، إلى غير ذلك من الصفات الذميمة، التي تشوه عمل المرء وتجعله حقيقا بسخط الله ونقمته.

١- **الحسد** مثلا من أقبح الصفات، و هو كما قال عليه الصلاة والسلام : «الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب» ^(١) ويتشعب من البخل، إذ البخل هو الذى يبخل بما فى يده على غيره. والحاسد لنعمة الله على الغير - وذلك فى خزائن قدرة الله تعالى لا فى خزائنه هو - شحه أعظم وعمله أقبح. و فى الحقيقة أن سوء أدب الحاسد، إنما هو على الله تعالى، لأن النعمة نعمته سبحانه، فالاعتراض عليه. ولا يزال الحاسد فى عذاب دائم ما دام يرى النعمة على محسوده، ويزيده الله عذابا بجرمانه من كل ما تطلع إليه، وتمنى لغيره زواله، ولعذاب الآخرة أشد و أكبر، و لله در القائل :

أَلَا قُلْ لِمَنْ كَانَ لِي حَاسِداً أَتَدْرِي عَلَى مَنْ أَسَاءَتِ الْأَدَبُ ؟
أَسَاءَتِ عَلَى اللَّهِ فِي فِعْلِهِ لِأَنَّكَ لَمْ تَرْضَ لِي مَا وَهَبَ

٢- **الرياء** : هو الشرك الخفى، وحقيقته طلب المتزلة فى قلوب الخلق لينال بذلك

(١) رواه أبو داود فى سننه عن أبى هريرة.

الجاه. ولا شك أن حب الجاه، من الهوى المتبع، وكم أهلك أناسا، فقد ورد أن الشهيد يؤمر به يوم القيامة إلى النار، فيقول : يارب استشهدت في سبيلك، فيقول : (أردت أن يقال شجاع).

٣- **العجب** : هو الداء العضال، و حقيقته أن ينظر العبد إلى نفسه بعين العز والاستعظام، و إلى غيره بعين الاحتقار، و ثمرته الترفع في المجالس، و قول : أنا، كما قال إبليس اللعين : ﴿أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقَنِي مِنْ نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾ الأعراف: ١٢.

دلالة المعاصي القلبية من الحديث :

و خير حجة نستشهد بها على ما أوردناه لك، ذلك الحديث الصحيح الوارد عن النبي (ص وآله) : ، رواه ابن المبارك بإسناده عن خالد بن معدان أنه قال لمعاذ بن جبل : حدثني حديثا سمعته من رسول الله (ص وآله) : ، قال : فكبر معاذ وبكى حتى ظننت أنه لن يسكت، ثم قال : و اشوقاه إلى رسول الله (ص وآله) : وإلى لقائه، سمعت رسول الله (ص وآله) : يقول لى : (يامعاذ إني محدثك بحديثٍ إن أنت حفظته نفعك، وإن أنت أضعته و لم تحفظه انقطعت حجَّتكَ عند الله يوم القيامة، يا معاذ، إن الله خلق سبعة أملاكٍ قبل أن يخلق السموات والأرضَ، فجعل لكلٍّ من السبعة ملكاً بواباً عليها، فتصعدُ الحفظةُ بعملِ العبد من حينٍ يصبحُ إلى حينٍ يمسي، له نورٌ كنورِ الشمسِ، حتى إذا بلغت به إلى السماء الدنيا، زكَّته و كبرته، فيقول الملك للحفظة : اضربوا بهذا العمل وجه صاحبه، أنا صاحب الغيبة، أمرني ربي ألا أدعَ عملَ مَنْ يغتابُ الناسَ يُجاوزُني إلى غيري قال : ثم تأتي الحفظةُ بعملٍ صالحٍ من أعمالِ العبد تزكيه

وتكثره، حتى إذا بلغت به السماء الثانية، قال الملك الموكل بها: قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه، إنه أراد بعمله هذا عَرْضَ الدنيا، أمرني ربي ألا أدع عمله يجاوزني لغيري، إنه كان يفتخرُ على الناس في مجالسهم. قال : و تصعدُ الحفظةُ بعمل العبدِ يبتهج نورا من صدقةٍ وصيامٍ و صلاةٍ قد أعجبَ الحفظةُ، فإذا انتهوا به إلى السماء الثالثة، قال لهم الملكُ الموكل بها : قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه، أنا ملكُ الكبير، أمرني ربي أن لا أدع عمله يجاوزني إلى غيري، إنه كان يتكبر على الناس في مجالسهم. قال : و تصعد الحفظةُ بعمل العبدِ يزهو كما يزهو الكوكبُ الدرّي، و له دوى من تسبيحٍ وصلاةٍ وصومٍ و حجٍّ و عمرَةٍ، حتى يجاوزوا به السماءَ الرابعةَ، فيقول لهم الملكُ الموكل بها : قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه وظهره وبطنه، أنا صاحبُ العُجب، أمرني ربي ألا أدع عمله يجاوزني إلى غيري، إنه كان إذا عمل عملاً أدخل العُجبَ فيه. قال : و تصعد الحفظةُ بعمل العبدِ تزفُّه كما تزفُّ العروسُ إلى أهلها، حتى إذا انتهوا به إلى السماء الخامسة، قال لهم الملكُ الموكل بها : ارجعوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه، واحملوا على عاتقه، أنا ملكُ الحسدِ، أمرني ربي ألا أدع عمله يجاوزني إلى غيري، إنه كان يحسدُ من يتعلمُ ويعملُ بعلمه ويقعُ فيهم. قال : و تصعد الحفظةُ بعمل العبدِ من صلاةٍ وزكاةٍ و حجٍّ و عمرَةٍ و جهادٍ و صيامٍ، حتى إذا انتهوا به إلى السماء السادسة، يقول لهم الملكُ الموكل بها : قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه، أنا صاحبُ الرحمة، أمرني ربي ألا أدع عمله يجاوزني إلى غيري، إنه كان لا يرحمُ إنساناً قط من عبادِ الله أصابه بلاءٌ أو ضرر، بل كان يشمت به. قال : و تصعد الحفظةُ بعمل العبدِ إلى السماء السابعة من صلاةٍ و صيامٍ و نفقةٍ و جهادٍ و ورعٍ، له دوى كدوى النحل، وضوء كضوء

الشمس، معه ثلاثة آلاف ملك، حتى إذا انتهوا إليها قال لهم الملك الموكل بها :
 قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه و جوارحه، واقفلوا على قلبه، إني
 أحجب عن ربي كل عمل لم يُرد به وجه الله تعالى، إنه إنما أراد بعمله غير الله.
 إنه أراد رفعة عند العلماء، و ذكراً عند الفقهاء، وصيتاً بين الناس، أمرني ربي
 ألا أدع عمله يجاوزني إلى غيري، لأنه سبحانه لا يقبل عمل المرأى. قال : و
 تصعد الحفظة بعمل العبد من طاعة وعبادة وخلق حسن، وصمت و ذكر لله، و
 يشيعه ملائكة السموات السبع، حتى يقطع الحجب كلها إلى الله تعالى، فيقفون
 بين يديه، فيشهدون له بالعمل الصالح المخلص لله تعالى، فيقول سبحانه :
 ياملائكتي، أنتم الحفظة على عمل عبي، وأنا الرقيب على ما في قلبه، و لا
 أخلصه لي، أنا المطلع على ما في القلوب، لا تخفى عليّ خافية، ولا تغرب
 عني غاربة، علمي بما كان كعلمي بما لم يكن، و عملي بالأولين كعلمي
 بالآخرين، فكيف يغرني عبي بعمله ؟ إنما يغر المخلوقين الذين لا يعلمون، أما
 أنا فعلام الغيوب، إنه لم يُردني بعلمه، لا أخلصه لي، فعليه لعنة، فتقول
 الملائكة جميعها : ياربنا، عليه لعنتك ولعنة السموات السبع ومن فيهن. ثم بكى
 معاذ و قال : يا رسول الله، كيف النجاة مما ذكرت ؟ قال : اقتد بنبيك في
 اليقين . قلت : أنت رسول الله و أنا معاذ، فكيف لي في النجاة و الخلاص ؟
 قال : نعم يامعاذ، إن كان في عملك تقصير فاقطع لسانك من الوقعة في
 إخوانك من حملة القرآن خاصة، و احمِل ذنوبك و لا تحملها عليهم، و ليردك عن
 الوقعة في الناس ما تعلمه من عيوب نفسك، و لا تُرك نفسك بذهمهم، و لا
 تُرائي بعملك كي تُعرف في الناس، و لا تدخل في الدنيا دخولاً يُنسيك أمر
 الآخرة، و لا تُناج رجلاً و عندك آخر، و لا تتعظم على الناس فتقطع عنك

خيرات الدنيا والآخرة، و لا تفحش في مجلسك كي تُحذّر الناس من سوء خلقك، و لا تمزّق الناس بلسانك، فتمزّقك كلاب النار في النار، ثم قرأ : ﴿وَالنَّشِيطَةَ نَشْطًا﴾ النازعات: ٢ و قال : أتدرى ما هن يامعاذ ؟ قلت : بأبي أنت و أمى يا رسول الله ما هن ؟ قال : كلاب في النار ينشطن اللحم عن العظم. قلت : يا رسول الله من يطيق هذه الخصال و من ينجو منها ؟ قال : فإن الذى وصفت لك ليسير لمن يسره الله عليه، إنما يكفيك من ذلك أن تُحب للناس ما تحب لنفسك، و تكره للناس ما تكره لها، فإذا أنت قد سلّمت و نجوت » ^(١).

قال خالد بن معدان :فما كان معاذ يكثر من تلاوة القرآن، إكثاره من تلاوة هذا الحديث.

الجوارح المقابلة لأبواب الجنة والنار :

قال أحد الأئمة : ﴿ إنما حُرِّموا الوصول لتضييعهم الأصول ﴾ و نعم، فإن الطريق إلى الله بدايته العلم، ووسطه العمل، و آخره معرفة الله تعالى، بعد معرفة النفس. و العلم فى البداية، هو العلم بأركان الإسلام، و أحكام المعاملات، و من تعلم هذا العلم و عمل به، علمه الله ما لم يكن يعلم، قال (ص وآله) : « مَنْ عَمِلَ بِمَا عَلَّمَهُ وَرَثَةُ اللَّهِ عَلَّمَ اللَّهُ مَا لَمْ يَعْلَمْ » ^(٢). و بالعمل بما علم يسلم المسلمون من يد السالك و لسانه، فيكون مسلماً كما قال (ص وآله) : « المسلم من سلّم

(١) البداية و النهاية للإمام الغزالى.

(٢) أخرجه أبو نعيم فى الحلية من حديث أنس.

المسلمون من لسانه ويده» ^(١) وفي رواية أخرى : «من سلم الناس من لسانه ويده» ومتى سلم الناس من لسانه ويده ؛ سلموا من باب أولى من جميع الجوارح، فإن كل المعاصي في الحقيقة سببها اللسان، لا فرق بين معاصي الفرج والبطن وبين معاصي غيرهما، فكأنه (ص وآله) : يقول : من سلم المسلمون من جميع جوارحه، وتلك الجوارح في الحقيقة هي مفاتيح أبواب الجنة و أبواب النار. وبعيشك، هل يرضى مسلم يؤمن بالله و باليوم الآخر، أن يفتح على نفسه بابا من أبواب النار ويقفل أبواب الجنة ؟ مع أن الله سبحانه مكنه و خيره بين فتح باب الجنة وفتح باب النار، قال تعالى : ﴿فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ﴾ ﴿الكهف: ٢٩﴾ وستان بين من يفتح أبواب النار في مجلس واحد، وبين من يفتح أبواب الجنة في نفس واحد.

١- فتح أبواب الجنة :

مثال ذلك :رجل مشى برجليه لزيارة عالم حتى وصل إليه، ففتح باب الرجلين. و جلس معه فسمع الحكمة فوعاها، ففتح باب الأذنين. ونظر إلى الفقراء معه فشكر الله تعالى على ما أنعم به عليه من اليسار والعافية، ففتح باب العينين. ثم ذكر الله تعالى مع الذاكرين معه، ففتح باب اللسان. ثم مد يده بصدقة لفقير أو لغيره، ففتح باب اليدين. ثم تحمل الجوع مع العالم - لأن أكثرهم فقراء - ففتح باب البطن. ثم تذكر ذنوبه لحلاوة الحكمة فتاب إلى الله، ففتح باب الجنة المعد للفرج. وهو باب الخيام المضروبة على المقصورات من الحور، ثم سمع علم

(٢) أبو داود في الأدب و النسائي و البخاري و الترمذي وابن حبان.

التوحيد و عين التوحيد و حق التوحيد. فانفتح له باب القلب فى الجنة، و هو مقعد الصدق للصادقين والصديقين، كل ذلك فى نفس أو أكثر.

٢- فتح أبواب النار :

مثال ذلك : خرج رجل ليزور حاكما لغرض دنيوى، يريد به أذية الغير، أو يريد به الجاه ليعظم بين الناس، أو يريد به رفعة درجة، أو وظيفة، أو إكبات عدو، ففتح باب النار، المعد للرجلين. فلما جلس بين يديه اضطر أن يصدقه فيما يقول، أو يعينه على كشف عورة من عورات أهل الإيمان، ففتح باب الأذنين. ثم تكلم بما لا يرضى الله ورسوله ففتح باب اللسان. ثم قدم له تحفة من طعام أو شراب ففتح باب البطن. لأنه أكل بمعصية الله مالا يستحق. ثم نظر إلى الزينة والأثاثات فأنكر نعمة الله عليه وأصغرها، ففتح باب النار للعينين. حتى يفتح أبواب النار كلها. ثم يراه عظيما نافعا ضارا فيسلب الإيمان من القلوب فى مجلس واحد، أعاذنا الله من ذلك.

ومثال آخر : و هو أن يخرج لزيارة أهل الدنيا من إخوان السوء، فيجلس معهم للغيبة والنميمة، وسب المؤمنات الغافلات، و قد يتجاوز ذلك إلى سب العلماء العاملين، الصالحين المصلحين، و قد يتجاوز ذلك إلى سب ولادة الأمور المخلصين أهل العدل، و قد يتجاوز ذلك إلى أكل و شرب ما هو حرام، قال تعالى : ﴿فَلَا تَقْعُدُوا بَعْدَ الذِّكْرِى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ الأنعام: ٦٨ وقال (ص وآله) : « المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل »^(٢)

الباب الثانى

مراحل الطريق

ما يجب أن يحصله المسافر فى طريق الله

أولا : الاستعداد قبل السير :

لما كان كل مسافر إلى مقصد عظيم وجب عليه أن يستعد لهذا السفر، استعدادا يطمئن به قلبه على نفسه، فيصحب الرفقة التى يأنس بها، و يدفع بها عن نفسه مالا قبل له به، و الزاد الذى يبلغه مقصده حتى يرجع لأهله، و السلاح الذى يستعمله عند لقاء اللصوص أو الوحوش، و المال الذى يدخره للضرورة، والراحلة التى تحملها، و الأثاثات التى لا بد له منها من البيوت التى تكنه، و اللباس الذى يقيه الحر والبرد.

وأهم ما يلزم المسافر ؛الخبر : الذى يسلك به على الطريق الموصل، العالم بالطريق علما عن تجربة وكثرة مروره به. هذا ما يلزم المسافر فى أموره الدنيوية. أما المسافر إلى حضرة الملكوت الأعلى، فله لوازم ضرورية لا بد منها، وهى من الأهمية بمكان، حتى يمكنه أن يبلغ مقصده الملكوتى، فإذا هم أن يسافر فارا إلى الله تعالى من كون الملكوت، كثرت لوازمه وازدادت حاجاته. كل تلك المعدات يجب أن تكون موفرة للمسافر إلا قبل سفره بزمان طويل، فلا ينبغي له أن يسافر بعد كمالها، فمن أخطأ فى إعداد العدة خاطر بنفسه، فلا أرضا قطع ولا ظهرا أبقى.

ثانيا : أن يحصل فقه الشريعة عقيدة وعبادة :

١ - علم التوحيد :

وَيُحَصِّلُ بالتلقى عن أهل الخشية من الله تعالى، وهو الركن الذى تحب المسارعة إليه قبل كل شىء، ولا ينبغي للسالك فى طريق الله أن يلتفت إلى شىء قبله، إلا مالا يتحصل على هذا العلم إلا به من الضرورى، كالغذاء والنوم وقضاء حاجة الإنسان، والسعى فى تحصيل ذلك.

ولا أعنى به أن يتلقاه الإنسان بالطريقة التى يلقتها أدياء العلم بالأقيسة المنطقية التى أخذوها عن اليونان، فإن ذلك - والعياذ بالله - من البدع المضلة، ولم يكن فى عصر رسول الله (ص وآله) : ، ولا فى عصر الصحابة رضوان الله عليهم، ولا التابعين وتابعيهم بإحسان.. وإنما تتلقى العقيدة بطريقة السنة كما بين ذلك رسول الله (ص وآله) : ، وبالمآخذ القرآنية، فإن الله تعالى بينهما فى كتابه العزيز بطريقة البرهان، الذى لا يفهمه إلا من تركت نفسه، وصفا خياله، واطمأن قلبه للحق، بما جعله الله فيه من النور والهدى.

٢ - علم العبادات :

يجب على السالك بعد ذلك أن يتلقى العبادات عملا عن أهل الخشية بصحبتهم، حتى يكون صورة لأصحاب رسول الله (ص وآله) : ، عاملا بما كانوا عليه. فإن أهل الخشية تلقوها عملا ممن تلقاها عن تلقاها إلى رسول الله (ص وآله) : ، قال (ص وآله) : : « أتاني جبريل فصلى فصليت، ثم صلى فصليت - وكررها خمسا - فصلوا كما رأيتموني أصلى (ص وآله) : : إلى أن علم الصلاة يجب أن يكون عمليا لا بالدراسة، وإنما هى القلوب، متى خشعت من علام الغيوب، قامت مواجهة لجناحه العلى، وحسن وقوفها بين يديه سبحانه.

ثم يتعلم الصيام والحج والزكاة عملاً أكثر من تعلمها علماً، فإن تلقى أنواع العبادات بالعمل ينقش على القلب صورة نورانية، تجعل الجسد هيناً للقيام بها. و تلقيها بالعلم يجعلها كالمعانى التي يتعقلها الإنسان و لا يشعر بالمقصود منها. ولذلك فإنك ترى دعاة العلم الذين يعلمون الناس أركان الإسلام ؛يتهاونون بالقيام بها، فقد يجلس الرجل يتحدث مع الآخر فيفوته الفرض والفرضان، وقد يقف في الصلاة و قلبه مشغول بغير من هو مواجهه سبحانه، ويخرج من الصلاة مسرعاً إلى عمل ربما كان يدبره في الصلاة، و هو لا يشعر أين كان ؟ أصلى ثلاثاً أم أربعاً ؟

ثالثاً : أن يحصل من القرآن ما يكفيه :

بعد تحصيل ذلك يجب أن يحصل من القرآن ما يكفيه، لصلاته، ولتلاوته وتدبره، و للتلذذ بسماع كلام ربه من نفسه، حتى لا يمضى عليه يوم إلا وقد تكلم مع الله سبحانه بكلامه المقدس، و الواجب على المريد أن يفهم ما حفظه من القرآن، فإن حفظ شيئاً من القرآن بغير فهم، و جب عليه أن يسارع إلى خدمة من يفهم منه ما حفظ من القرآن، حتى لا يكون كالبيغاء يقرأ كلام الله بغير فهم، وحسب المسلم جهالة أن يقرأ شيئاً من كلام الله غير فاهم معناه، و هل إنسان يجب آخر و يجهل كلامه ؟ هذه دعوى باطلة..

وما حجت أنوار الطريق وأسراره عن عيون البصائر، وحرم المريد أنوار المواجهات عند القيام بالقربات، إلا من التهاون بفهم كلام الله، و لم تكن خوارق العادات للسلف، واهمم التي تنفذ في عظام الشئون، وقوة سلطان المسلمين واتحاد كلمتهم، و اجتماع قلوبهم، و مسارعة كل مسلم لخير المجتمع الإسلامى، إلا بفهم

كلام الله تعالى. ومن انتسب إلى الطريق و لم يفهم ما حفظه من كتاب الله فهو في طريق هواه وحظه. وإلا فما الذى يدعو المريد أن يجعل نفسه كالميت بين يدي المرشد، يتصرف في نفسه ودينه وماله، إلا ليجعله في معية رسول الله عليه الصلاة والسلام، إنسانا كاملا عاملا من عمال الله.

وإنما أهل الطريق من صغر في نظرهم كل شيء، في سبيل تحصيل كلام الله، وعلم أحوال رسول الله (ص وآله): .

رابعا : أن يجاهد نفسه في ذات الله :

إن النَّفْسَ عند السالك أغلى من نفسه، فلا يصرفه إلا في تكميلها، الكمال الذى به يكون في مقعد صدق عند مليك مقتدر ﴿مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾ ﴿٦٩﴾ النساء: ٦٩ و ليس الفيض القدسي، و النور الروحاني، والعلم الرباني، بمحظور عليه بزمان أو مكان، وإنما هو لمن يبذل نفسه وماله في نيله، قال تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنْ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ يُقَرَّبُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ﴾ التوبة: ١١١.

وإن المقاتلة العظمى في سبيل الله هي مقاتلة الشخص نفسه لتكميلها، قال (ص وآله): « رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر جهاد النفس » ^(١) فالإقدام بالملحمة بين صفوف الأعداء أمام نار المقدوفات جهاد أصغر، و مجاهدة

(١) رواه البخارى.

المريد نفسه في ذات الله جهاد أكبر. و لا جهاد في الحقيقة إلا بفهم كلام الله تعالى، وعلم غوامضه والعمل به. و إن العامل بكتاب الله السالك على منهج رسول الله (ص وآله): في جهاد أكبر ممن ألقى بنفسه بين نيران المقذوفات، لأن الذي ألقى بنفسه بين نيران المقذوفات، شهد بعينه الجنة فتحت له فسارع إلى الجنة، لا إلى نار وطعن. وإن من شهد الجنة فتحت له، لا يشعر بما أصابه في سبيلها.

بالعمل بالقرآن ملكنا الأرض شرقا وغربا، وسدنا على العباد سرا وجهرا، واستجاب الله لنا، وسخر لنا ملائكة سماواته، و بإهمال فهم القرآن أصبح من أهملوه عالة على أهل الكفر بالله، وأتباعا وأذلاء لهم، فإذا كان فهم القرآن عزا وملكا ومجدا في الدنيا، فكيف يكون في الآخرة ؟ ﴿إِنَّمَا يَذْكُرُ أُولَ الْأَلْبَابِ﴾ الرعد: ١٩ فالقرآن يجب أن نحبه ديناً، ونحبه لأنه صدر عن الله، وأنه صفة من صفاته، وفيه تجلّى لنا الله، وظهرت لنا معاني صفاته، وكاشفنا فيه بمحابه ومراضيه، وبين لنا ما يكرهه ويغضب لعمله، ونحب القرآن لأنه الشمس المشرقة للأرواح الملكية، وللنفوس الزكية، وللقلوب مطمئنة بذكر الله. اللهم إني أشهدك أني - ولك الحمد ولك المنّة - أحب كلامك العزيز، وأحب أن تقام حدوده، وأن يكون العمل به، فتفضل ياذا الفضل العظيم، وأعطني محابى فيك سبحانه، وحصنى بالقرآن من مخالفته، إنك ولى المؤمنين.

الحث على اتباع سنة خير المرسلين

اتباع السنة واجب لصحة الإسلام :

قدمت لك أن الطريق إلى الله تعالى هو العمل بكتاب الله وسنة رسوله (ص وآله) :، وما كان يعمل سلفنا الصالح عضا بالنواجذ على سنة رسول الله (ص وآله) : . وهنا أبين لك من الكتاب والحديث ما به تعلم حق العلم، أن العمل بكتاب الله والسنة المطهرة ينال بهما المسلم محبة الله تعالى له، و التي هي بغية أولى العزم من الرسل.

إعلم يا أخى - وفقنى الله و إياك لما فيه اتباع سنة رسول الله (ص وآله) : أن أبلغ آية دعانا الله فيها إلى اتباع السنة، هي قوله تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكُمْ إِلَّا رَحْمَةً مِّنَ رَبِّكَ وَمَا تَكُن لَّكُم مِّن دُونِ اللَّهِ شَافِعِينَ﴾ الحشر: ٧ ثم قوله سبحانه ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ النساء: ٦٥ من هاتين الآيتين وغيرهما يتضح لك أن اتباع رسول الله (ص وآله) : فرض واجب لصحة الإسلام.

وكل من يخالف السنة فقد عرض نعمة الإسلام للزوال. قال (ص وآله) : : « لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئتُ به » ^(١) وقال (ص وآله) : : « من ضيع سنتي حرمت عليه شفاعتي، ومن أحيا سنتي فقد أحيا، و من أحياني فقد أحبني ومن أحبني، كان معي يوم القيامة في الجنة » و جاء في الآثار المشهورة أن

(١) رواه البخارى.

بسنته (ص وآله): عند فساد الخلق واختلاف المذاهب والملل، كان له أجر مائة شهيد، وأنه كالقابض على الجمر، أى: لا يسعه تركه ولا إمساكه.

ما المراد بالسنة؟:

المراد بالسنة ما نقله إلينا أتباع رسول الله (ص وآله): وأصحابه، من أقواله وأعماله وأحواله وإقراراته، وما كان عليه الخلفاء الراشدون وأصحابه الذين عاصروه من بعده، ثم الذين يلونهم من التابعين ومن بعدهم، وكل ما أحدث بعد هؤلاء مما يخالف منهاجهم فهو بدعة، وكل بدعة ضلالة، يجب علينا محاربتها قدر استطاعتنا، فإن الصحابة رضوان الله عليهم هم القدوة المثلى لنا بعد رسول الله (ص وآله): ، وقد

كانوا ينكرون أشد الإنكار على من أحدث أمراً أو ابتدع رسماً لم يعهدوه في عصر النبوة، سواء كان في صغير أو كبير، في المعاملة أو في العبادة والذكر.

ومن الأدب ترك البحث والتفتيش فيما جاءت به السنة إذا صح سنده واستقام مته، فإنه يجر إلى الطعن في الدين الذى هو مفتاح الضلال. وما هلك الأمم الماضية إلا بطول الجدل وكثرة القيل والقال، وإنما يجب على المسلم أن يعرض بنواجذه على ما ثبت من السنة، ويعمل به، ويدعو إليه، ويحكم به، ولا يصغى إلى كلام أهل البدعة ولا يميل إليه.

فرائض الإيمان وشعبه

فرائض الإيمان :

و هنا يجب أن نبين لك ملة الإسلام الصحيحة التي وردت عن رسول الله (ص وآله) : في حديث جبريل عليه السلام، لأنها أساس الطريق المتين و حصنه الحصين، وهي : أن يؤمن العبد ويصدق بالله تعالى و حده لا شريك له، و يؤمن بملائكته وكتبه ورسوله أجمعين، وبالبعث بعد الموت، وبالقدر خيره وشره من الله، ثم يرى الإقرار الصحيح بذلك كله فرضا لازما، فيقر به، و يقيم الصلوات الخمس لأوقاتها، على شرائطها وحقوقها، ويؤدي الزكاة في المال لوقتها وبشرائطها، و يصوم رمضان، ويحج البيت إن استطاع إليه سبيلا.

ويرى أن من انطوى قلبه على هذه الفرائض جميعها، ودل بها لسانه، وعمله، واطمأن إليها قلبه ؛ فهو مؤمن من أهل الجنة، بفضل الله تعالى وكرمه.

شعب الإيمان :

ويرى أن المؤمن لا يخرج عن إيمانه ذنب، كما يخرج بالكفر والشرك والنفاق، و يكل سريره إلى الله تعالى يوم القيامة، إن شاء عاقبه بما شاء إلى ما يشاء، وإن شاء عفا عنه بدليل قوله (ص وآله) : « أنه يخرج من النار مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ إِيْمَانٍ »، أى : أدنى شئ من يقين الدين. وأن لا يكفر أحدا بذنب، ولا يخرج من الإسلام بعمل.

وأن يكف لسانه عن أهل القبلة، ولا يشهد على أحد منهم بالكفر والشرك والنفاق، و يكل سرائرهم إلى الله تعالى.

ومن سنة الإسلام أن يعلم بأن القلم قد جرى بما هو كائن من أمر الدين والدنيا، رطبها ويابسها كما قال تعالى: ﴿وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ الأنعام: ٥٩ وان السعادة والشقاوة مكتوبتان، و كل ميسر لما خلق له، فلا تقديم لما أخره الله، ولا تأخير لما قدمه، ولا تعطيل لما أحكمه، ولا نقض لما أبرمه، وكل ذلك بقدر الله. وأن يصلى العيد والجمعة خلف كل بر وفاجر من ولاة الإسلام، و يصلى على من مات من أهل القبلة كائنا من كان.

ويجاهد مع كل خليفة أعداء الله، ولا يخرج على إمام المسلمين بالسيف، ولا على أحد من أهل الإسلام، بل يدعو لهم بالصلاح والخير والمعافة والاستقامة والرشاد والسداد، ويدعو لإمام المسلمين، ويطيعه فيما يأمر به مما أباحه الدين، وإن كان عبدا حبشيا.

ولا يطعن في سلف العلماء بما زلت به أقدامهم، ولا يتخذهم غرضا.

ويتورع جهده عن مطاعن الصحابة رضوان الله عليهم، فقد كانوا في أعلى مراتب التقوى و البر واليقين والزهد والهدى، وقد و عدهم الله المغفرة في سقطاتهم بصحة سيد البشر عليه الصلاة والسلام، فمن الواجب على كل مسلم ألا ييسط لسانه فيهم إلا بأحسن ما يقدر عليه، فإن أحدا لو أنفق ملء الأرض ذهبا، لم يبلغ بعض ما كانوا عليه رضى الله عنهم، ومن كمال حب المسلم لرسوله الله (ص وآله): حب أصحابه من أجله.

ولا يخاصم ولا يجادل أحدا في الدين، فإن ذلك يحبط الأعمال. ولا يمارى أحدا في شبهات القرآن فإنه يقرع بذلك باب الضلال، فإن أُلجأه أمر إلى المحاجة فليكن سائلا متمسكا بآداب السؤال. ويؤمن بعذاب القبر ويتعوذ بالله تعالى. ولا

يتكلم فى الدين برأيه، بل يتبع السنة فى كل ما يقول ويعمل ويقرر. ولا يتبع القياس فى جميع مسائل الدين وأحكامه، فإن أول من اخذ بالقياس إبليس اللعين.

ولا يناظر فى صفات الله ولا فى ذاته أحدا، فإنه سبحانه تعالى مآره عن القياس والأشبهاء والأوهام والخطرات، ففى الحديث : أن هلاك هذه الأمة إذا تكلموا فى ربهم، وأن ذلك من أشراف الساعة.

ويجب أن يترك التكلم فى القدر و المجادلة فيه، فإن ذلك من إشراك الأمم السابقة، و ليبحث له عن عالم ربانى يكشف له ما يشتهه عليه من هذه الأمور. والله ولى التوفيق.

البحث عن المرشد الدال على الله :

ولما كان العلم لا بد أن يكون بالتعلم، وكان السالك فى الطريق لا بد له من المعلم، والمعلم محل الإجلال والتعظيم، وهو الذى يجب له السمع والطاعة، لأن السالك يسلمه نفسه فيزكيها له، ويتلقى عنه أحكام دينه ليقلده فى عقيدته وأعماله وأحواله، فأول واجب على السالك فى طريق الله تعالى، أن يبذل غاية المهمة فى البحث عن هذا العالم، ليفوز برضوان الله الأكبر، ويعمل لخير نفسه وخير المسلمين جميعا. و من أهمل فى هذا الموضوع الجليل فلم يبحث عن عالم ليتعلم، أو لم يدقق فى البحث عنه، وسلم نفسه لمدع أو مبتدع، فقد أخطأ نيل الوسيلة، و من أخطأ نيل الوسيلة حرم المقصد، و سياتى عندى من أهمل فى تحصيل العلم، و من صحب رجلا بغير بصيرة وبحث عن حقيقته، ليتبين له أنه مرشد حقا، وهنا أبين لك أوصاف المرشد، حتى تكون على بصيرة من أمرك، والله ولى التوفيق.

أوصاف المرشد :

المرشد هو الحى القائم الدال على الله، العالم بالنفوس، وأمراضها من نزوغ الشهوات والأهواء، وميول إلى ما يلائم النفس، العالم بالحقائق التى خلق الله منها الإنسان، فإن الله جل جلاله خلق الإنسان متطورا فى بطن أمه، من نطفة، إلى علقة، إلى مضغة، إلى عظام، ثم كسى العظام لحما، ثم أنشأه خلقا آخر، بعد أن أفتتح خلقه من سلالة من طين، ثم جعل سبحانه وتعالى فوقه سبع طرائق.

وهذا العالم بالنفوس هو العالم بالله، وبأيام الله، وبأحكام الله، وطلبه فريضة، لأن طلب العلم فريضة على كل مسلم، و العلم بالتعلم، والتعلم بالعالم، ومتى سعد السالك فى طريق الله بهذا العالم، أكمل الله له دين، وأتم عليه نعمته، ورضى له الإسلام ديناً. والمعلوم أن العالم أجمع لا يجهل الله الحق الذى خلق السموات والأرض وما بينهما واستوى على العرش، وإنما الجھول علم ما يحبه ويرضاه، من العقيدة والأخلاق والعبادات والمعاملات، و القيام بما يحبه ويرضاه من العقيدة والعلم وشهود أنواره وأسراره وآياته فى مكوناته، مع كمال التزیه والتسليم لله تعالى، من غير منازعة بالعقول، ولا مخالفة بالنفوس، حتى يصلوا إلى مقام من أتى

الله عليهم بقوله : ﴿أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُّهْتَدُونَ﴾ (٨٢) ﴿الأنعام: ٨٢﴾.

أخذ العهد على المریدین

البیعة فی الكتاب والسنة :

قال الله تعالى : ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لَا مُنْتَبِهَ وَعَهْدِهِمْ رَعُونَ﴾ المؤمنون: ٨ . وقال تعالى : ﴿وَالْمُؤْفُوكَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا﴾ البقرة: ١٧٧ . وقال تعالى : ﴿إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾ الإسراء: ٣٤ . وقال تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَمَسِيئَتِهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ الفتح: ١٠ . وقال تعالى : ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾ الفتح: ١٨ . وقال (ص وآله) : « بايعوني على أن لا تشركوا بالله شيئا » الحديث. فالعهد أولا أخذه الله تعالى على رسله الكرام، بأن يكونوا أمة لحبيبه ومصطفاه إن أدرك زمانه أحدهم. وأخذت الرسل صلوات الله وسلامه عليهم العهد لله على أممهم، وقام العلماء الربانيون بأخذ عهد الله تعالى بالنيابة عن رسول الله (ص وآله) : على أهل عصرهم في كل زمان، بأن يبينوا لهم ما أوجبه الله تعالى عليهم، وما رغبتهم فيه، وما كان عليه رسول الله (ص وآله) : وأئمة الهدى، ثم يأخذون عليهم العهد أن ياتمروا بما أمرهم به الله والرسول، وينتهوا عما نهى الله ورسوله عنه.

الجنة وفاء من الله بعهدة للمؤمنين :

قال تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ

لَهُمُ الْجَنَّةُ ﴿التوبة: ١١١﴾ و كما أن الله أخذ عليهم العهد أن يقوموا بالعمل بوصاياه سبحانه، فقد ضمن لهم - فضلا منه وكرما - أن يدخلهم الجنة، وبشرهم

بأن يفى لهم بعهده سبحانه، قال تعالى : ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾ البقرة: ٤٠
وفي تلك الآية سر غامض تلوح أنواره لمن انتشل من أحوال التوحيد، إلى فضاء التزويه و التفريد، بعد التزكية و التجريد، وأشرقت أنوار الحضرة العلية، حضرة الرب العلى الكبير، على حضرة العبد الذى واجهه الرب جل جلاله، فأشهدده معانى ربوبيته، فتحقق بالتمكين بالقيام بحقوق العبودية، فكان الرب جل جلاله مع العبد، والعبد المضطر مع الرب، معية جعلت العبد متحدا مع ربه جل جلاله فيما يريد، بمحو العبد فى مراد الرب، وهمَّ العبد فى استجلاب رضاء الرب جل جلاله.

وبذلك تقوى الرهبة و الرغبة من عظمة العظيم، وفى الفضل العظيم من الله تعالى، ويشتد الخوف من مقام الرب جل جلاله، والطمع فى عفوه ومغفرته، فتكون معانى الربوبية معالم بين عينى العبد، فلا يرى شيئا إلا ويرى أنوار الربوبية قبله وفيه وبعده، وبذلك يكون ربانيا، يفقه عن الله، و يتلقى بسرّه عن رسول الله، ويكون له وجود عينى بالله تعالى، ثابت بإثبات الله له، ظاهر بإظهار الله له، عامل فى محاب الله و مراضيه بتوفيق الله وهدايته، فيكون له من الله الفضل العظيم، وعليه الواجب المقدس، الذى هو معرفة حكمه إيجادا له سبحانه وتعالى، وسر إمداده منه سبحانه و تعالى ولذلك فإنه سبحانه بعد أن قال : ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ

بِعَهْدِكُمْ وَإِنِّي فَأَرْحَبُكُمْ﴾ قال : ﴿وَإِنِّي فَأَرْحَبُكُمْ﴾ البقرة: ٤٠ لأن هذا الخطاب المقدس ربما أشهد السالك فى مقام فرقه بعد الجمع، مشهدا يجعل رغبته ورجاءه، وطمعه وأنسه، وشهوده سوابغ النعماء وجميل الآلاء، وتسخير كل شىء هو فى

الملك والملكوت، يقوى فيستر عنه مشاهد المنة، و بوارق العظمة، و العزة والكبرياء، فر بما يأنس بمشهد دون مشهد، فأشار سبحانه بقوله : ﴿وَأَيُّ قَارِهُبُونَ﴾ أى : أن مقام العبادة أرقى من مقامات العبادة والعبودية.

وإنما الأحوال نتائج الشهود، والشهود نتائج المقامات، فمن غلب عليه مقامه قهر حاله. و مقام الرهبة أعلى المقامات، لأنه عن علم آيات عظيم كبير متعال، على قادر منان. وكم من سالك وقف عند مشاهد الرغبة والرجاء والطمع، ولم يتجاوزها إلى مقامات التمكين وحق اليقين، فتاه شاطحا، فيتداركه الرب جل جلاله بنعمة منه، و الله أرحم بالسالكين من أنفسهم بأنفسهم، ورسوله (ص وآله) : أولى بالمؤمنين من أنفسهم.

وفى تلك الآية الشريفة من غوامض الأسرار، مما تكاشف به النفوس الطاهرة، قبس من مشكاة الأنوار، تواجه به السرائر من أنوار الكوكب الدرى، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، والله ذو الفضل العظيم.

كيفية أخذ العهد :

لما كان العلماء الربانيون ورثة الرسل عليهم الصلاة والسلام، وكان لابد من تجديد عرى الإيمان، لأن الإيمان يخرق كما يخرق الثوب، و تخفى معالمه، ولكن الله سبحانه وتعالى يجدده على ألسنة العارفين به.

ولما كان المرشد خليفة رسول الله (ص وآله) :، فى بيان شعب الإيمان وتفصيل ما أجمل من السنن، وتوضيح ما أهم منها، وبيان سبل الله، كان عليه بعد

أن يعلم تلاميذه ما يجب عليهم، أن يعاهدهم بالنيابة عن رسول الله (ص وآله
(: ، و يواثقهم له صلوات الله وسلامه عليه، مبينا لهم أن يده التي يضعها على
أيديهم هي يد رسول الله (ص وآله): ، حتى يكون صورة كاملة لرسول الله
(ص وآله): .

فاصطلح أهل الطريق رضى الله عنهم أن يبتدئوا مع المريد بتعليم العلم
الواجب على المريد في الوقت، من علوم المعرفة والأخلاق و العبادات والمعاملات،
وآداب رسول الله (ص وآله): ثم يواثقونه بعد ذلك على أن يعمل بما علم بقدر
استطاعته، و ينتهى عما نهى عنه الله جملة واحدة إلا ما أكره عليه كما يبينونه له،
فيبايعونه البيعة الكاملة على أن لا يشرك بالله شيئا، وأن يقيم الصلاة، و يؤتى
الزكاة، و يصوم رمضان، و يحج البيت إن استطاع إليه سبيلا، وأن يجتنب الكبائر
و الفواحش ما ظهر منها وما بطن، وأن يجاهد نفسه وهواه في ذات الله، و يبينون له
: ﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ

﴿ التوبة: ١١١. هذا سر العهد عندهم، ولا ينبغي أن يعاهد المريد إلا عارفا ربانيا،
يصح أن يكون صورة كاملة لرسول الله (ص وآله): بحسب زمانه، لا بحسب
المعاني المحمدية الكاملة.

الباب الثالث

أصول الطريق

العقيدة

العقيدة هي أصل الأصول :

هى أصل الأصول التى عليها مدار العبادات والأخلاق والمعاملات، وبها نيل الرضوان الأكبر يوم لا ينفع مال ولا بنون، قال سبحانه : ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ النساء: ١١٦ ومتى انعقد القلب على العقيدة الحقّة التى مأخذها الكتاب والسنة، و بيان الأئمة، أشرقت أنوارها على الجوارح، فسارعت إلى محاب الله و مرضيه، وإنما تكون الاستقامة بقدر العقيدة الحقّة، تجعل المتجمل بها حاضرا مع الله لا يغيب، عاملا له سبحانه بالإخلاص لا يخالفه، مراقبا له جلاله فى خلوته و مجتمعه، محاسبا نفسه على كل صغيرة وكبيرة، يرى الجحيم حضورا أو استحضارا، وبعيشك .. من رأى الجحيم بعين اليقين، كيف يخالف القوى القهار المتين ؟!.

العقيدة فى أقوال أئمة الطريق :

و إليك ما قاله أئمة الطريق فيما جملهم الله تعالى به من حسن العقيدة.

قال الإمام أبو القاسم القشيري فى رسالته فى علم التوحيد : أعلم أن شيوخ الطريق بنوا قواعد أمرهم على أصول صحيحة فى التوحيد، صانوا بها عقائدهم عن البدع، ودانوا بما وجدوا عليه السلف وأهل السنة، من توحيد ليس فيه تمثيل ولا

تعطيل، و عرفوا ما هو حق القدم، وتحققوا بما هو نعت الوجود عن العدم.

وقال أبو بكر الشبلي رحمه الله: الواحد المعروف قبل الحدود وقبل الحروف.

وسئل رويم عن أول فرض افترضه الله عز وجل على خلقه ما هو ؟ فقال :

المعرفة، لقوله جل جلاله : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ الذاريات: ٥٦
قال ابن عباس : إلا ليعرفون.

وقال أبو الحسن البوشنجي : التوحيد أن تعلم أنه غير مشبه للذوات، و لا منفى للصفات.

وسئل ذو النون المصري : ما هو التوحيد ؟ فقال : هو أن تعلم قدرة الله تعالى في الأشياء بلا مزاج، وصنعه للأشياء بلا علاج، و حكمة كل شيء صنعه و لا علة لصنعه، وليس في السموات العلا و لا في الأرضين السفلى مدبر غير الله، و كل ما تصور في ذهنك فالله بخلافه.

وقال الجنيد: التوحيد علمك وإقرارك بأن الله فرد في أزليته، لاثاني معه، و لا شيء يفعل فعله.

وقال أبو عبد الله : الإيمان تصديق القلوب لما علمه الحق من الغيوب.

وقال أبو العباس السيارى : عطاؤه على نوعين : كرامة واستدراج، فما أبقيه عليك فهو كرامة، وما أزاله عنك فهو استدراك، فقل : أنا مؤمن إن شاء الله تعالى.

وقال سهل بن عبد الله التستري : ينظر المؤمنون إليه تعالى بالأبصار، من غير

إحاطة و لا إدراك نهاية.

وقال أبو الحسن النورى : يشاهد الحق القلوب، فلم ير قلبا أشوق إليه من قلب محمد (ص وآله) : ، فأكرم بالمعراج تعجيلا للرؤية والمكاملة.

وقال أبو عثمان المغربي يوما لخدمه محمد : لو قال لك أحد : أين معبودك، فماذا تقول ؟ قال : أقول : لم يزل، قال : فإن قال : أين كان فى الأزل، فماذا تقول ؟، قال : أقول : حيث هو الآن. يعنى أنه كما كان ولا مكان، فهو الآن كما كان، قال : فسرره منه ذلك، و نزع قميصه وأعطاه إياه.

وسئل أبو عثمان المغربي عن الخلق فقال :قوالب وأشباح، تجرى عليهم أحكام القدرة.

وقال الواسطى : لما كانت الأرواح والأجساد قامتا بالله وظهرتا بالله، لا بذواتها، كذلك قامت الخطرات والحركات بالله، لا بذواتها، إذ الحركات والخطرات فروع الأجساد والأرواح.

وقال أبو سعيد الخزاز : ومن ظن أنه يبذل الجهد يصل إلى مطلوبه فمُتَعَنٌّ، ومن ظن أنه بغير الجهد يصل فمتمن.

وجاء رجل إلى ذى النون المصرى يقول : ادع الله لى، فقال له : إن كنت قد أيدت فى علم الغيب بصدق التوحيد فكم من دعوة مجابة سبقت لك، وإلا فإن النداء لا ينقذ الغرقى.

وسئل ابن شاهين الجنيدى عن معنى « مع » فقال : لها معنيان، مع الأنبياء

بالنصرة والكلاءة، قال تعالى : ﴿إِنِّي مَعَكُمْ أَسْمَعُ وَأَرَى﴾ طه: ٤٦ ومع العامة بالعلم والإحاطة، قال تعالى: ﴿مَا يَكْشُوتُ مِنْ تَجَوَّى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُورًا بَعُهُم﴾ المجادلة: ٧.

و سئل ذو النون المصري عن قوله تعالى : ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ طه: ه قال : أثبت ذاته و نفى مكانه، فهو موجود بذاته، والأشياء موجودة بحكمه كما شاء سبحانه.

وقال الإمام جعفر الصادق : من زعم أن الله في كل شيء أو من شيء أو على شيء فقد أشرك، إذ لو كان في شيء لكان محصورا، أو كان من شيء لكان محدثا، أو لو كان على شيء لكان محمولا.

وقال الجنيد : التوكل عمل القلب، والتوحيد قول القلب.

المنكرون لأقوال أئمة الطريق :

هذه عبارات من سبقت لهم العناية، وإنما يذوق حلاوة معناها أهلها، ممن سبقت لهم من الله الحسنى : ﴿وَلَا نَقْصُ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ﴾ هود: ١٢٠ وإن كان معنى الآية يشير إلى ما كان يحصل لرسول الله من الحزن - عند إنكار قريش وتكذيبه - رحمة بهم. ولكن نذكرها هنا لإقامة الحجة، على أن تلك العبارات يزداد بها أهل الإيمان الكامل يقينا، و ينكرها من سجل عليهم القضاء البعد و القطيعة، نعوذ بالله، وهم لا يخفون علينا بعد أن بين الله لنا أوصافهم، وحذرنا منهم، وهم الآن كثير لضعف أهل الحق، وسيأتي وقت - وهو

قريب - يظهر الله أهل الحق، ويعيد لنا ما كان لسلفنا من القوة والتمكين في لأرض، ولديها أهل النفاق - الذين يجاهرون اليوم بالاعتداء على الدين - يسارعون إلى التمسك خوفا من قوة الحق ﴿اللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْخَاطِئِينَ﴾ يوسف: ٥٢.

وما تقول في عقيدة من يدعى الإسلام وهو يعتدى على أخيار الله، محتجا بكلام من لا حجة لهم ممن قال الله فيهم ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَكَا لَا تَعْلَمُ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ الفرقان: ٤٤ و قال سبحانه : ﴿مَا أَشْهَدُهُمْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلَقَ أَنْفُسِهِمْ وَمَا كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا﴾ الكهف: ٥١.

ما تقول في عقيدة من يقول :أنا أبحث بحثا علميا والدين والعلم مختلفان. وهو يجهل حقيقة العلم لأنه يجهل روح الدين. الإسلام لا يعادى العلم، لأن الإسلام وضع الحكيم العليم، الذى بين الحقائق كما هى، و كل ما يخالفه فهو جهل وضلال، وإن كان عند أهل النفوس اللقسة علما.

العلم هو تصور النفس رسوم المعلوم، ومتى تصورت النفس رسوم المعلوم، صار المعلوم معالم بين عيني العالم، لانبلاج أنوار الغيب المصون وإشراقه على جوهر النفس، فبين لغيره بالعبارة معانى المعلوم، ليتمثلها خيال السامع لا بقدر المعلوم، فإن كان السامع ممن منحهم الله نفسا نورانية، تقبل العلم الحق واطمأن قلبه. وإن كانت نفسه خبيثة، أنكر و مال إلى مجالسة أهل الكفر والضلال، فإن استدرجه الله تعالى بقوة أهل الباطل، وضعف أهل الحق، جاهر بالضلال، وإن

أظهر الله أهل الحق أظهر أنه من أتباعهم، وأخفى في نفسه ما الله مبدية، وهو النفاق.

أسأل الله أن يحفظنا من النفاق، وأن يؤيدنا بروح حتى يكون المجاهر منافقا، ثم يظهر الله ما في نفسه فيعذبه الله في الدنيا بأيدينا، وفي الآخرة بنار جهنم، أو يتوب عليه ويهديه منه، والله ولي المتقين.

العقيدة هي الحجة :

بينت لك الأصل الأول الذى هو العقيدة، وهو اصل لأصول، بل هو رأس مال المؤمن، وما زاد عليه فهو ربحه، قال الله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ النساء: ١١٦ والعقيدة الحققة مأخوذة من الكتاب والسنة وبيان الأئمة، وقد أوردت ما قاله أئمة الطريق رضى الله عنهم في العقيدة، وفيه الكفاية لمن جعل الله لهم نورا في قلوبهم. ومن طلب تحصيل العقيدة بالبراهين المنطقية والأدلة العقلية، حرم الإيمان الحق، لأن الله تعالى على عظيم، لا تدركه الأبصار الباحثة. وقد أخبرنا سبحانه وتعالى عن نفسه في آيات من القرآن كثيرة، وأقام الحجة البالغة بما بينه سبحانه في خلق السموات والأرض وما بينهما وما فيهما، مما شاهدته العقول، واطمأنت به القلوب. على أن كل شئ خلقه الله للإنسان مما أحاط به من أفلاك وأملاك، وأجواء وأرجاء، ومعادن ونباتات وحيوانات، وهذه هي الحجة التى أسجدت القلوب لعلام الغيوب، وبقيت المحجة وهى الأصل الثانى الذى هو العبادة التى تربط العبد بربه، قال تعالى : ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ آل عمران وتتمثل فى الطريقة المستقيمة.

الطريقة المستقيمة

الطريقة هي الحجة :

هي أقرب طريقة توصل إلى المطلوب، و كل الطرق الأخرى منحرفة أو معوجة أو منقطعة لا توصل السالك عليها، و تلك الطريقة المستقيمة محصورة في قول رسول الله (ص وآله): وعمله وإقراراته، وقد بينها أئمة الهدى بالقول والعمل والحال.

وطالب الله تعالى يجب عليه أن يبحث عن مرشد يصحبه، هو أشبه الناس برسول الله (ص وآله): ، و بعد أن يظفر به يجب عليه أن يسلم له فيما علم أنه لا يخالف كتابا ولا سنة فإن الحرام بين و الحلال بين، و من حجب ممن يتعدى حدود الله و يخالف أحكامه، و وصاياه رسول الله (ص وآله): ، فارق السنة، و مال عن الطريقة المستقيمة، ولا حجة له.

قال الله تعالى ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ الأنعام: ١٥٣.

و الواجب علينا أن نتمسك بالسنة، تمسكا يمنحنا ربنا الفوز به، و الوصول إليه، و نيل ما وعدنا سبحانه عنده، قال سبحانه: ﴿أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا﴾ الأعراف: ٤٤.

بم تصلح الطريقة؟:

أولا : تلقى عقيدة التوحيد :

تلقى عقيدة التوحيد من الكتاب والسنة والسماع من المرشدين الكاملين، لا من أهل الجدل والمعارضة والإنكار، الآخذين بأصول اليونان - التي هي الأشكال المنطقية ونتاجها - وما لم يكن عليه السلف الصالح، بل يترك الجدل مرة واحدة، قال تعالى : ﴿ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴾ الزخرف: ٥٨.

ثانيا : الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر :

المسارعة إلى عمل ما أمر الله بقدر الطاقة، و البعد عما نهى الله عنه جملة، فإن الطاعة مقيدة بالطاقة، قال تعالى : ﴿ فَأَنقُوا لِلَّهِ مَا اسْتَطَعْتُمْ ﴾ التغابن: ١٦ وكل تكليف ملاحظ فيه الاستطاعة، وأما ما نهى الله عنه فترك جملة واحدة، فإن الله ما نهى إلا عن كل قبيح لا خير فيه.

ثالثا : أن يكون لكل فرد في المجتمع حق عليه :

أن يترل الناس من قلبه بقدر ما أنزلتهم الشريعة، فترى معلم الخير والوالدين في أرقى المقامات من قلبك، تعظيما وإقتداء ومحافظة على الأتباع وبرا.

و ترى إخوتك من و الديك أحب الناس إليك، و يليهم إخوتك من والدك أو والدتك، ثم ترحم أبناءك و تجتهد في تربيتهم تربية تصلح بها حالهم في الدنيا والآخرة، ثم تحسن صحبة زوجتك، و خصوصا إذا تزوجت أكثر من واحدة.

ثم تنزل الناس بحسب منازلهم، من جار أو قريب أو شريك أو عامل عندك، من الرحمة وحفظ العهد ورعاية جانب الله تعالى، حتى يكون المجتمع الإسلامى كالجسد الواحد، لكل فرد منه حق عليك بقدره شرعا.

رابعا : أن يؤدى ما عليه لغيره :

وهنا ملاحظة أحب أن يكون السالك عليها، وهى أن يسارع فى تأدية ما عليه لغيره، ولا يطالب الناس أن يقوموا بما عليهم له، طمعا فيما يناله من الأجر يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من آتى الله بقلب سليم.

وفى هذا المقام تتفاوت المقامات، فإن الله سبحانه عندما أثنى على رسول الله (ص وآله) : لم يشن عليه لأنه كثير الصيام، أو القيام، وإنما أثنى عليه بالأخلاق الكريمة، قال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ القلم: ٤ بغير التنوين، أى : على خلق الله، وبالتنوين فى رواية حفص يعنى على خلق موصوف بالعظمة عند الله تعالى، وهو أكمل جمال للأخلاق. ولا تسوأها المرید بالأخلاق شيئا، فإن الأخلاق هى رعاية جانب الله تعالى، وقهر دواعى البشرية من الحظ والهوى والطمع، وبذلك يكون المرید أشبه بالملائكة المقربين، بل أفضل منهم، لأنه مجاهد، و الملائكة أرواح نورانية ليست فيهم عناصر تقتضى المجاهدة، قال تعالى : ﴿وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ النساء: ٩٥.

الشريعة والحقيقة طريق واحد

أدعياء الطريق وتأويلاتهم :

إن الأصول الشرعية يجب على السالك في طريق الله أن يراها حق رعايتها، فلا يحيد عنها قيد شعرة، والسلوك إلى الله تعالى لا يمكن أن يكون من غير الطريق الشرعي، ولما كانت هذه النقطة من أدق النقاط وأصعبها فهما على عقول العامة، خصوصا في هذا الزمان المظلم الذى تفشت فيه البدع، واشتدت وطأة المضلين والجاهلين.

فقد رأينا أن نعرض للكلام فيها، ونفصل ما خفى منها حتى تستبين الحجة فيها، و تتضح الحجة و ينجلي ذلك الستار الموهوم الذى أسدله أدعياء المتصوفة وقاطعوا طريق الله تعالى على أنفسهم، لتضليل البسطاء وإغواء الأبرياء، والتحايل على العيش من وراء هذا الافتراء والبهتان.

يحاول أولئك القوم أن يفهموا السذج من الناس أن الشريعة والحقيقة مختلفتان، متناقضتان في لفظهما وجوهرهما، وأنهما طريقان متباينان، لكل طريق منهما أصول وقوانين، وأن كلا منهما انفردت بأهلها ومعتنقيها عن الأخرى، و لذلك يحتمون على من سار في طريق الحقيقة أن يترك كل ما يتعلق بالشريعة، لأنه يسير بزعمهم في طريق أعلى وأسمى من تلك الطريق، و لا يحمل بمن رقى أن يتنزل، و لا بمن تغلغل في بطن الدار وجالس أهلها ؛ أن يعود للوقوف على بابها.

الرد على هذه التأويلات :

وجهل أولئك المغرورون أن الشريعة والحقيقة طريق واحد، بدايته الأولى ونهايته الثانية. وأن الحقيقة من الشريعة، كالقصر المشيد العالى من الأساس المتمكن فى أعماق الأرض، فلو لم يبق هذا الأساس ويحكم بناؤه لما قام ذلك القصر، ولما دام بقاءه. وإنه وإن كانت الحقيقة بيتا والشريعة بابها، فإن البيوت لا تؤتى من غير أبوابها، وإن الذى يدخل البيت من غير الباب إنما هو لص مريب، لا ينظر إليه بعين الثقة ولا الاحترام.

ولقد بين العلماء العارفون بالله و هن تلك الدعاوى الباطلة، التى يضل بها أولئك الأدعياء عقول الناس، يقذفون بهم فى هوة مخالفة الشريعة والخروج على أوامرها، حتى إذا ما انقضت تلك الحياة الدنيا - وسرعان ما تنقضى - وجاء يوم الحساب والعقاب : ﴿إِذْ تَبَرَأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَأَرَاؤُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ﴾ (٣٣) وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّا كُنَّا نَدْرِكُهُمْ لَسَخَّطْنَا عَلَيْهِمُ الْعَذَابَ وَنَجَّدُوا آلِهَتَهُمْ لَيَكُونُنَّ أَهْلًا عَرَضًا ﴿٣٤﴾ تَبَرَّأُوا مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ ﴿٣٥﴾ البقرة: ١٦٦ - ١٦٧.

مكائد أدعياء الطريق وحيلهم :

وإليك بعضا من مكائدهم وحيلهم التى ينصبون شراكها لإيقاع البسطاء :

أول ما يبدو لك من أحوالهم جرأة على الشريعة، وسوء أدب مع الله تعالى، و أمن واستهتار ينبئك بأن نفوسهم لقسة لم تتطهر من رجس الشهوات، و لم يوجد

فيها القابل الذى يقبل الحقائق ويرضخ لها، وإذا ما أنكر عليهم منكر بعض أمورهم المخالفة للشرع الشريف، قالوا كذبا : إن حرمة ذلك فى العلم الظاهر، وإنا أصحاب العلم الباطن، وهو فى علمنا حلال، وإن الناس يأخذون من الكتاب والسنة، أما نحن فنتلقى من صاحبها محمد (ص وآله) : ، فإن أشكل علينا ما نتلقاه منه رجعنا إلى الله تعالى بالذات. وإنا بالخلوة، وهمة شيخنا نصل إلى الله، فتكشف لنا العلوم، فلا نحتاج إلى كتاب وسنة، إن الوصول إلى الله تعالى لا يكون إلا برفض العلم الظاهر و الشرعى، وإنا لو كنا على الباطل ما حصلت لنا تلك الكرامات العلية، و الأحوال السنية، من مشاهد الأنوار، وكشف الأسرار.

الرد على هذه المكائد والحيل :

كل ذلك ونحوه أكاذيب وترهات، بل هو إلحاد وضلال إذ فيه ازدراء بالشرعية السمحاء، وإبطال لحكمة تشريعها، وإن الشيطان لم ينل من المسلمين ما ناله الفساق من المدعين التصوف بالباطل، فإن الله تعالى يقول: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ^ط وَيَعْلَمُكُمْ اللَّهُ^ط﴾ البقرة: ٢٨٢ و التقوى هى العمل بعلم الشريعة، لأن الأخذ بالعزيمة من شأن الأتقياء، ومن خالف الشريعة صار غويا لا تقيا، ومثله يعلمه الشيطان الطمع فى الأموال، و إباحة الأعراض، والكيد لمخالفيه والمنكرين عليه.

الذين يحصلون علم الشريعة ولا يعلمون به :

كما أن الذين يحصلون علم الشريعة و لا يعملون به هم شر الخلق، لأن العالم إذا استعان بعلمه على نيل الدنيا من الملوك والأمراء، بل ومن المتسلطين من

غير المسلمين، بأن يواليهم و يودهم و يتردد عليهم، سلب الله منه بركة العلم، وكان العلم حجة عليه يوم القيامة. روى الإمام أبو عمر يوسف بن عبد البر الأندلسي بسنده في كتابه : (جامع بيان العلم) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله (ص وآله) يقول : « أولُ الناس يُقْضَى فيه يومَ القيامة ثلاثة : رجل استشهد في سبيل الله فَأَتَى به ربُّه فعرفه نعمه فعرفها، فقال : فما عملت فيها ؟ قال : قاتلت فيك حتى استشهدتُ، قال : كذبت، ولكنك قاتلت لأن يقال جرىء فقد قيل : ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار. و رجل تعلم العلم و علمه و قرأ القرآن. فَأَتَى به فعرفه نعمه فعرفها، قال : فما عملت فيها ؟ قال تعلمتُ فيك العلم و علمته و قرأتُ القرآن، قال : كذبت، ولكن ليقال : هو قارىء، وقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار. و رجل أوسع الله عليه وأعطاه من أصناف المال، فَأَتَى به فعرفه نعمه فعرفها، قال : فما عملت فيها ؟ قال : ما تركتُ من سبيل تحبُّ أن أنفقَ فيه إلاَّ أنفقتُ فيه، قال : كذبت ولكن ليقال هو جواد فقد قيل، ثم أمر به فسُحب على وجهه حتى ألقي في النار»^(١).

وهذا الحديث فيمن لم يرد بعلمه ولا عمله وجه الله. وقد قيل في الرياء : إنه الشرك الأصغر.

(١) رواه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة.

المعرفة بالله تعالى

الرضا هو المعرفة بالله تعالى :

أهل الطريق أسسوا طريقهم إلى الله تعالى على آيات كثيرة من القرآن، وأحاديث صحيحة وصلت إليهم بسند عال صحيح، من تلك الأحاديث ما رواه الإمام أحمد بن حنبل بسنده قال : قال رسول الله (ص وآله) : « ذاقَ طَعْمَ الإيمانِ مَنْ رَضِيَ باللهِ ربا وبالإسلام ديناً وبمحمد (ص وآله) : نبياً »^(١) هذا الحديث الصحيح ركن من أركان الطريق الذي أخذ به أهل العلم بالله تعالى، لأن الذوق المنبعث عن الرضا هو المعرفة بالله تعالى، و المعرفة أسكنها سبحانه قلب من أحبه من العباد، ولا شيء أجل وأعظم من ذلك النور.

حقيقة المعرفة حياة القلب وموت النفس :

وحقيقة المعرفة حياة القلب بالحي سبحانه، قال تعالى : ﴿أَوْ مِنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ﴾ الأنعام: ١٢٢ وقال جل شأنه ﴿لِيُنذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا﴾ يس: ٧٠ و قال تعالى : ﴿فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَوةً طَيِّبَةً﴾ النحل: ٩٧ و قال تعالى : ﴿أَسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ الأنفال: ٢٤ فمن ماتت نفسه بعدت عنه دنياه، ومن مات قلبه بعد عنه مولاه.

فأهل طريق الله تعالى رضى الله عنهم ؛ لما ماتت نفوسهم بعدت عنهم الدنيا و بعدوا عنها، و لما قامت بحكم الحياة الدائمة بالله قلوبهم الطاهرة ؛ قربت من الله،

(١) صحيح مسلم.

وقرب بسره المقدس منها، فهم و دائع مدد الله وخزائن أسرارهِ، إليه يرجعون، وبه سبحانه وتعالى يهيمون، وعليه يتوكلون و إلى غيره لا يلتفتون، وكل ما يحمل على أكابرهم وأصاغرهم، خفيهم و ظاهرهم، من الشئون التي تمس زهرة هذه الدنيا الفانية بحقيقتها، خلاف ما حملها عليهم الكذابون، وأضافها إليهم الباغون.

مشارب أهل الطريق :

وهم رضى الله عنهم على مشارب وأطوار، فمنهم رب المظهر القهار، و منهم المتحلى بالتجرد عن الآثار، ومنهم المتحف برداء التعزز و الوقار، و منهم المتطيلس بطيلسان الذل لله والانكسار، و منهم المغلوب، و منهم المجذوب، و منهم المتمكن الجامع، و منهم السيف القاطع، و منهم شرعى الانبلاخ، و منهم البحر العجاج.

وكلهم ثقيلون على أهل النفوس الملوثة بأغراضها، و القلوب المملوءة بأمراضها، وهم غرباء عن جنس أولئك، و لذلك قال عليه الصلاة والسلام عنهم : « مَنذُ يَبْغِضُهُمْ أَكْثَرُ مَن يُحِبُّهُمْ » «لأنهم يخالفون ما عليه النفوس وأربابها. والمقاصد الفاسدة وأصحابها. وقد روى : «مَنْ أَحَبَّ اللَّهَ فَيَلْتَحِذْ لِلْبَلَاءِ حَلِيًّا» فالابتلاء لأحباب الله تعالى لا بد منه، و لكن لهم الغلبة على من عاداهم، والنصرة على من ناوأهم قال سبحانه ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾ المائدة: ٥٦ و قال تعالى : ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ يونس: ٦٢.

وكل أهل زمان لهم من الله حظهم بقدر احترامهم لأهل الوقت من أهل الله، و بقدر محبتهم لهم، و حسن ظنهم بهم، و صدق موالاتهم، و خالص الاجتماع

لنأهجهم، وسلوك طريقهم، والتخلق بأخلاقهم، مع إجلالهم وإعظام شأنهم. و العكس - والعياذ بالله - بالعكس.... فإن إهانة أولياء الله، والكذب عليهم، وإهمال حقوقهم، وهضم مقاديرهم، ينتج عن زيغ القلوب، وخبث النفوس، واستخفاف لأوامر الله تعالى، ومتى عمت هذه الأوصاف القبيحة قوما من المسلمين ؛ ترى الحزى و الفشل يعمهم، والذل يكتنفهم، ويدعون فلا يستجاب لهم.

لأن هؤلاء القوم هم أمناء النبي (ص وآله): فى الأمة، و هم العلماء بالله حقاً، العارفون بسنته عليه الصلاة و السلام صدقا، المتمسكون بها، الناصرون لها، المفرغون للأخلاق المحمدية فى القلوب، الجاذبون ألباب الأمة إليه (ص وآله): ، هم نقطة الجمع للقلوب على أمر الله و سنة نبيه، وإعزاز كتابه، وتعظيم أمره، وتوقير أحبابه، فمتى أهملهم أهل زمانهم انفكت جامعتهم، و تفرقت قلوبهم، وهنالك فلا عز ولا مكنة، حيث يسلط الله عليهم عدوهم، و يترع المهابة عنهم. نسأل الله تعالى أن يمنحنا الأدب فى جانب أوليائه رضى الله عنهم، وأن يوفقنا للاهتمام بمديهم، و يعلق قلوبنا بمحبتهم، ليسلكوا بنا طريق الله القويم، و صراطه المستقيم.

الباب الرابع

أساس الطريق

أولاً : تحصيل العلم

العلم في الكتاب :

أول واجب ينبغي على من أراد السلوك في طريق الله تعالى تحصيل العلم، إذ هو أساس العقيدة، وروح العبادة، و معلم الأخلاق، و الرائد في المعاملات، وهذه الأربعة هي أصول الدين. ذكر الله تعالى العلم في مواضع كثيرة من القرآن الكريم، تنبىء عن شرفه وتعظيمه، ورفع سبحانه قدر العلماء حتى عطفهم على نفسه، وخصهم بخشيته والتعقل عنه، فقال سبحانه : ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ^{٢٦} وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ آل عمران: ٧ و قال تعالى : ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ^{٢٧}﴾ فاطر: ٢٨ وقال عز وجل : ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾ العنكبوت: ٤٣ و قال جل شأنه : ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا^{٢٨}﴾ الزمر: ٩.

العلم في الحديث :

وكذلك حثنا رسول الله (ص وآله) : على طلب العلم، حتى جعله فريضة على كل مسلم ومسلمة، وذكر في تعظيمه وبيان قدره أحاديث كثيرة نكتفي منها بهذا القدر :

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله (ص وآله) : (ما عبد الله بأفضل من فقهه في دين الله، وفقهه واحدٌ أشدُّ على الشيطان من ألف عابدٍ، ولكل شيء عماد و عماد الدين الفقه)، وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال : (تعلموا العلم فإنَّ تعلمه لله خشيةٌ، وطلبه عبادة، ومدارسته تسبيحٌ، والبحث عنه جهادٌ، وتعليمه لمن لا يعلمه صدقةٌ، وبذله لأهله قربة، لأنه معالم الحلال والحرام، والأنيس في الوحشة، والصاحب في الخلوة، والدليل على السراء والضراء، والدين عند الأخلاق، والقرب عند الغرباء، يرفع الله به أقواماً، فيجعلهم في الخلق قادة يفتدى بهم، وأئمة في الخلق يُقتفى آثارهم، ويُنتهى إلى رأيهم، وترغبُ الملائكة في حبهم، وبأجنحتِها تمسحُهم، حتى كلُّ رطبٍ ويا بسلهم مستغفر، حتى الحيتانُ في البحرِ وهوامُ، وسباعُ البرِّ وأنعامُها، والسماء ونجومها، ولأن العلم حياة القلوب من العمى، والأبصار من الظلم، وقوى الأبدان من الضعف، يبلغُ به العبدُ منازل الأحرار، ومجالسة الملوك، والدرجاتِ العُلا في الدنيا والآخرة، والفكرُ فيه يعدلُ بالصائم، ومدائسته بالقيام، به يطاع الله عز وجل، وويُعبد له الله جل وعلا، وبه توصل الأرحام، وبه يعرف الحلال والحرام، إمام العمل، والعمل تابع له، يلهمه السعداء ويحرمه الأشقياء).

من ذلك تعلم أن تحصيل العلم أساس السلوك في طريق الله تعالى، إذ هو النور الذي يهْدِي إلى الرشد، ويكشف للسالِك عما قد يعترض طريقه من عقبات ومهاوٍ.

ما المقصود بالعلم ؟ :

ولسنا نقصد بالعلم تلك القشور التي أضاع فيها العلماء أعمارهم، وهم لا يزدادون بها إلا بعدا عن الله تعالى، ومسارة فيمن حكم القرآن بالكفر على من وادهم، أو تزلفا لأصحاب الجاه والمناصب، رضا بالحياة الدنيا واطمئنانا بها.

ولا تقصد علوم المادة والفلسفة الخرافية، التي أضلت أهلها، و جعلتهم يتخذون المادة إلها معبودا، و يكفرون بالله، ويحقرون دينه، فإن هؤلاء هؤلاء حكم عليهم القرآن بقوله تعالى : ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَفْلُونَ﴾
الروم: ٧.

وإنما نقصد بالعلم، علم المعرفة بالله تعالى، الذي يهدي القلوب إلى معرفته، و العقول إلى توحيده، والأرواح إلى محبته، والأجسام إلى الفناء في عبادته و القيام بأمره، فذلك هو العلم المفروض على المؤمنين جميعا، لأنه قوام العقيدة، وروح الإيمان، ومن حرمه أو أهمل في طلبه فقد حرم السعادة والخير.

العالم الرباني يهدي إلى الطريق:

ولن يستطيع السالك أن يخطو في طريق الله تعالى خطوة ؛ إلا على يد عالم رباني، منحه الله علم المعرفة به، وكاشفه بأسرار حكمته، وبدائع قدرته، حتي صار دالا به عليه، واقتدر على بيان الحقائق بلسان الحكمة المؤثرة على النفوس.

أما أولئك الجهلاء الذين يظنون أن السلوك إلى الله تعالى بالعبادة والعمل -

دون العلم - فهم محجوبون، ناكبون عن الطريق، لأن العمل من غير علم المعرفة يجعل القلب قاسياً، والقلب القاسى بعيد عن الله تعالى، ولو عبد الله ألف سنة، قال رسول الله (ص وآله) : (فضلُ العالم على العابد كفضلي على أدناكم) ^(١) وقال عليه الصلاة والسلام : (قليل العلم خير من كثير العبادة).

فعليك أيها السالك أن تسعى إلى العالم الرباني، لتتلقى منه علم المعرفة بربك، بعد أن تعرف نفسك، حتى ينتهى بك السلوك إلى الوصول.

ثانيا : العمل بالعلم

العلم وسيلة للعمل :

العلم مقصد عظيم، وكل ما سواه من المال والبنين والعافية والزوجة ؛ إنما هو وسائل لتحصيل العلم، الذى هو المقصد الأعظم. والعلم وسيلة للعمل، فالعمل بالنسبة للعلم مقصد عظيم، والعلم له وسيلة. والعمل وسيلة للتقرب من المعلوم جل جلاله، ولنيل رضوانه. والتقرب ونيل الرضوان مقصدان عظيمان، ولكنهما وسيلتان لنيل شهود جمال الله تعالى. ونيل شهود جمال الله تعالى فوق العلم والعمل.

ترك العمل بالعلم خسران :

والله جل جلاله لا يمنح ما عنده بمعصيته، لأنه تعالى غنى عن العالمين، فالعمل

(١) رواه الترمذى فى سننه.

بلا علم لا يرفع، والعلم بلا عمل لا ينفع، والعمل و العلم بلا إخلاص لا يقبلان،
والعالم إذا ترك العمل خاب فيه الأمل، لأنه قدوة العالم ومحل نظرهم، ومن
علامات بغض الله تعالى للعلماء بالأحكام وبالدين و سياستها أن يتركوا عمل
القلوب، ويتهاونوا بعمل الجوارح، فتكون قلوبهم محلا للحسد والهمم الشيطانية،
واللمم البهيمية، يتقربون بما حصلوه إلى الظلمة، والملوك - ولو كانوا كفارا - و
يستعينون به عندهم على نيل الخير العاجل.

وقد يكون العلم بالدين - لدى العلماء بالدين - سببا في سلب الإيمان - نعوذ
بالله - لأنهم يعينون أهل القوة و المال والسلطان، ولأنهم يحسنون لهم أعمالهم، و لا
يخافون الله فيهم ويخافونهم. فإذا هم الظالم بعمل يخالف الله ورسوله ؛ أعانوه عليه
خوفا منه، و لم يخافوا من الله تعالى.

أقول : يسلب بهذا العلم الإيمان من العالم بالدين ؛ لأنه ينسى نفسه، ويعتقد أنه
عالم، والعالم في الحقيقة هو الله، وكل من سواه متعلم منه سبحانه، فإذا نسى العالم
نفسه ؛ و حكم لنفسه بالعلم ؛ نسى الله تعالى، قال الله تعالى : ﴿ نَسُوا اللَّهَ
فَآذَنَهُمْ أَنْفُسُهُمْ ﴾ الحشر: ١٩

إذا خاف العالم من الموت ونسى يوم القيامة وسارع في أعداء الله تعالى قائلا ؛
نخشى أن تصيبنا دائرة، و اقتدى به العالم في هذا العلم ضل وأضل، فكان كالمرض
المعدى، وكان علمه شرا عليه. أعادنا الله تعالى من مرض أهلك إبليس فظن لعلمه
أنه خير من غيره وخالف أمر ربه. أما العلم بالله تعالى وبأيامه وبأحكامه وبحكمة
أحكامه فهو العلم الذي يهبه الله تعالى لمن يشاء من أحبائه وهو العلم الذى ينفع
الله به عباده.

العالم الذى يعمل بعلمه :

و هذا العالم لا يخالف علمه ما دام مؤيدا بكتاب الله تعالى و سنة رسوله (ص وآله) : ، و عمله نجات العالم أجمع، لأنه يعمل بعلمه عمل القلوب فيما بينه و بين ربه، ويعمل بعلمه عمل الأجسام مخلصا لله تعالى أمام إخوانه، فيكون له المقام العلى عند الله بعمل قلبه، قال الله تعالى ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ ق: ٣٧. صاحب القلب المتقلب فيما يقربه من الله تعالى، وصاحب البصيرة المشاهدة لآيات الله تعالى فوق العالم العامل بجسمه لا بقلبه، لأنه عمل بقلبه عملا يقربه من الله تعالى، وعمل بجسمه عملا أناله الله تعالى به فضله ورضاه، و نفع به أهل عصره، كما قال سبحانه : ﴿وَجَعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ الفرقان: ٧٤.

العمل بحكم ما أنزل الله :

الأساس الذى أسس عليه أئمة أهل المجاهدة طريقهم هو أساس واحد. و هو أن الحاكم هو الله، والحكم له سبحانه وتعالى ﴿إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ﴾ يوسف: ٤٠. وقال تعالى ﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ المائدة: ٤٥.

وقال تعالى ﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ المائدة:

وقال تعالى : ﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ المائدة:

وحكم الله هو كتاب الله وكلام رسول الله (ص وآله) ، لأن كلام رسول الله (ص وآله) : هو حكم الله تعالى ﴿وَمَا أَنَا بِمُكَلِّمٍ بِالْقَوْلِ﴾ وَمَا أَنَا بِمُكَلِّمٍ بِالْقَوْلِ ﴿فَخَذُوهُ وَالْمَكَانَ السَّيِّئَ الْمَعْرُوفَ بِالنَّبِيِّينَ﴾ وَخُذُوا إِلَيْهِمْ أَلْفًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْمَكِيدُونَ﴾ الْحَشْرِ: ٧.

حكم من حكم الذوق والحال والوجد :

و قد جهل بعض الناس ممن لا علم لهم بالطريق، فظنوا أن أهل الطريق يحكمون الذوق و الحال و الوجد ولو خالفوا في ذلك الشريعة. و من يعتقد ذلك في أهل الطريق فقد جهل مبادئهم، و من جهل شيئاً عاداه، فإن الذوق قبس من نور اليقين، أى : هو فوق العلم. والحال ظهور أنوار اليقين على السالك المخلص حتى يكون متجماً بجمال أهل الخشية والخوف من الله تعالى، و الرغبة فيما عنده سبحانه، والوجد حضور بالقلب والسر مع الرب جل جلاله. و لا يمين الله بتلك المعاني على من خالفوا حكمه سبحانه، و من حكم الذوق والحال والوجد وخضع لحكمهم فقد عبد غير الله، وما عند الله لا ينال بمعصيته.

واجب الوقت :

إذا انقاد أهل الطريق بذوقهم وحالهم ووجدتهم، فليس ذلك انقياداً لها، وإنما هو انقياد لواجب الوقت الذى أوجبه الله على السالك، مسارعة إلى تنفيذ حكم

الله تعالى الذى تلقاه عن الله، إما صريحاً من كتابه العزيز، أو من عمل وكلام رسول الله (ص وآله) : ، وعمل أئمة الهدى من الصحابة والتابعين، أو استنباطاً من الكتاب و السنة، فإذا اضطر إلى الحكم على أمر ولم يستين له ؛ رفعه إلى أعلم منه، فإذا خفى عليه نظر بعين المخافة من الله، وفكر فيه بقلب ملؤه الخشية من الله، فإذا ظهر فيه مصلحة وخير، حكم بإباحته، وإن ظهر له فيه مفسدة ومضرة، حكم بكراهته. فإن روح الشريعة تقضى بأن كل ما هو خير مباح، فهم فى ذوقهم وحالهم ووجدتهم مقهورون بحكم الله تعالى، وكل ذوق أو وجد أو حال يخالف حكم الله تعالى يفرون منه و يتبرعون منه.

ولعلك تنكر قولى : واجب الوقت. فأبين لك هذا الأمر : آخر (ص وآله
(: صلاة العصر إلى الغروب فى غزوة من الغزوات وقال : «حِسُونَا عن الصلاة
الوسطى فملاً الله قبورهم ناراً».

و جلس أمير المؤمنين عمر بن الخطاب فى المسجد يذكر أصحابه بأمر فأخر
صلاة العصر، فقال المؤذن : الصلاة يا أمير المؤمنين، فقال : نحن فى صلاة. فقد
يقتضى الوقت طهارة القلب فيسارعون إلى طهارة القلب، فإن كل عمل لم يكن
صادراً عن قلب مردود.

العلماء بالدنيا الجهلاء بالآخرة :

ولا عجب، فإن علماء الدنيا أعانوا الظلمة والكفرة على مفسادهم
وأباطيلهم، و أضلوا العامة بمسارعتهم إلى أعداء الله تعالى، والمخالفين لسنة نبيه

(ص وآله) : قال الله تعالى: ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ﴾ المائدة:

١٣ وقال تعالى : ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا

تَكْتُمُونَهُ، فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَأَشْرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبُخْسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾ آل

عمران: ١٨٧. هذا لأن جميع العالم يعتقدون أن العلماء هم الأئمة، وهم النور، ويقبلون منهم مالا يقبلونه من غيرهم. وهؤلاء ليسوا بعلماء بالله وبأيامه وبأحكامه وبحكمة أحكامه، ولكنهم علماء بالدنيا، وبالوجوه التي يحصلونها بها، قطع حب الدنيا قلوبهم عن مشاهدة الآيات في الكائنات، وأعمى الحسد والمنافسة في الدنيا وحب الشهرة بها أبصارهم عن السياحة في ملكوت الله، فعظموا ما حقر الله، وأهانوا ما عظم الله، فتراهم أذلاء.

العلماء بالله :

أما العلماء بالله تعالى، فإنهم يسارعون إلى مغفرة من ربهم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين، فيعمرون الأنفاس بما يحبه الله، مراقبة لله وخشية من عظمتة، وعملا بما يحبه ويرضاه، فيهدى الله بهم أهل عصرهم. فالعالم كالنجم المشرق في الليل المظلم، كما قال (ص وآله) : "أكرموا العلماء فإنهم سرُّج الدنيا و مصابيح الآخرة".

قال الله تعالى : ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ

وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ التوبة: ١٣٢ وقال تعالى ﴿إِنَّمَا

يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ فاطر: ٢٨ وأهل الخشية قليل، ومتى أظهر الله رجلا

من أهل الخشية عم نور اليقين أهل عصره. وأشر الناس يوم القيامة رجل يبيع دينه بدنيا غيره، فليتنبه أدعياء العلم، وليتقوا الله فيما خولهم من العلم بأحكامه سبحانه، فإن تقوى الله بما نيل العلم بالله، وصحبة العلماء الربانيين، قال تعالى : ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيَعْلَمَ اللَّهُ مُلْكُ اللَّهِ﴾ البقرة: ٢٨٢ ومن خاف غير الله أبعد، ومن طلب الله وجده، فدلّه على من يدلّه عليه.

أهل الطريق يهتدون بهدى السلف الصالح :

إن الله سبحانه وتعالى قد أكرم أهل الطريق بما هو كمعجزات أنبياء الله السابقين، على نبينا وعليهم الصلاة والسلام، والله سبحانه لا يستجيب لمن لم يستجب له، ولا يكرم بآياته من خالف حكمه. فأساس طريقهم رضى الله عنهم العمل بحكم الله تعالى، ومخالفة كل ما خالفه، حتى أنهم يخالفون كشفهم الصريح، ويرجعون إلى حكم الله تعالى، وأئمتهم أصحاب رسول الله (ص وآله) : . وكان الرجل منهم رضى الله عنهم إذا حكم بحكم وظهر له حكم الله تعالى قال : أخطأت، ورجع إلى الحق.

فإنما أهل الطريق أتباع لأصحاب رسول الله (ص وآله) : ، ومقتدون بهديهم رضى الله عنهم جميعا. وكيف يتخيل متخيل أن قوما أقبلوا على الله تعالى بالكلية ؛ يعتقدون أنهم غير معصومين ؛ يحكمون ذوقهم وحالهم ووجدتهم ويتركون حكم الله تعالى ؟! والحق فوق الخلق عند غيرهم، فكيف عندهم ؟ فهم مع الحق، وإن شهدهم من جهل حالهم مخالفين، ولذلك فإنك تراهم يطيعون فقيرا مسكينا، وتذل له نفوسهم الكبيرة، وتخشاه قلوبهم، ويذلون له نفوسهم ونفائسهم،

ويعادون لأجله الملوك والجبابة، ما ذلك إلا لأنهم أحبوا أهل الحق و لو كانوا أذلاء
فقراء مهانين مردولين فى أعين الناس، ولو أنهم لم يكن الحق مقصدهم الأول لما
أذلوا أنفسهم العزيزة لفقير مسكين، سمعوا منه الحكمة، وفقهوا عنه العظة، وتعلموا
منه الخشية من الله، وكم من سيد فى قومه عزيز فى سر به ذل لفقير مسكين !!
واتخذة سيدا وإماما يخدم نعليه، ويذل بين يديه، ويسمع له ويطيع، مع أن الملوك
تسترضيه فلا يرضى عنهم، وما ذلك إلا للحق سبحانه.

ما اختلاف الطريق ؟

قال العلامة :

وَالصِّرَاطُ السَّوِيُّ لِلْمُتَوَاجِدِ	مَا اخْتِلَافُ الطَّرِيقِ وَالْقَصْدُ وَاحِدٌ
كُلُّ نَفْسٍ لَهَا سَبِيلٌ وَشَاهِدٌ	ذَا لِأَنَّ النَفُوسَ مُخْتَلِفَاتٌ
بَدْوُهُ الْكَشْفُ لِلْمَرَادِ الْوَاحِدِ	وَالرِّجَالُ الْأَفْرَادُ فَوْقَ صِرَاطٍ
أَسْكَرَتْهُمْ لَمْ يُلْفِتْهُمْ مُعَانِدٌ	مِنْ (أَلَسْتُ) شَرِبُوا طَهُورًا مَدَارًا
مِنْ سِوَاهُ إِلَيْهِ وَالْفَضْلُ وَارِدٌ	أَفْرَدُوا اللَّهَ بِالْيَقِينِ وَفَرُّوا
يَجْذِبُ الرُّوحَ لِلْوَلِيِّ الْوَاحِدِ	مَنْ لَدَى الْبَدْءِ وَوُجَّهُوا بِجَمَالِ
بِاخْتِلَافِ النَفُوسِ بَلْ وَالْمَوَارِدِ	وَاخْتِلَافِ الطَّرِيقِ فِي السَّيْرِ يُنْبِئُ
عَلَيْهَا هُوَ الْإِلَهُ الْوَاحِدِ	وَالْمَرَادُ الْخُبُوبُ أَفْرَدَ بِالْقَصْدِ
لِلْأَيَادِي أَوْ لِلْعَطَا وَالْمَوَائِدِ	وَالنَّفُوسُ الْمَرْضَى تَسِيرُ الْهُوَيْنَا
فِي جَنَّاتِ النِّعَمِ بَيْنَ الْوَلَائِدِ	أَوْ لِأَجْرِ تَسْعَى وَنِيلَ حُظُوظِ
جَنَّةُ الْخُلْدِ فِي عَنَاءٍ يُجَاهِدِ	بَيْنَ بَاكِ مِنْ خَوْفِ نَارٍ وَرَاجِ
فُوزُهُ بِالْقَبُولِ تَجِدُهُ عَابِدِ	بَيْنَ زُهْدٍ فِيمَا يَزُولُ لِقَصْدِ

ذاك سرُّ التفريد والوجهُ قصدي	من (أَلَسْتُ) وطالبُ الغيرِ جاحِد
أفردَ المجتبون وجهاً علياً	باليقين القوىَّ محو العوائِد
شاهدوا باليقينِ في الكونِ نورا	كان بدءاً يراهُ كلُّ مُشَاهِد
لم تَعْقُفْهُمُ عناصرٌ وُحْدُوَّةٌ	كل فردٍ لله باللّهائِد
ظلمتْهُمُ أنوارُ شمس التجلّى	سَتَرْتَهُمُ عنهم فُبُشْرَى لصَاعِد
ناولتْهُمُ يدُ العنايةِ راحا	أسعدتْهم بنيل كلِّ المقاصِد
قصدهم واحدٌ إليه أنابوا	بَلْ لَهُ أسْلَمُوا بقلبٍ وَاجِد

"تم بحمد الله وحسن توفيقه"

من مؤلفات الامام المجدد السيد محمد ماضي ابوالعزائم

في جانب تفسير القرآن :

١- هذا السفر الجليل " أسرار القرآن " .

٢ تفسير سورة القدر .

فى جانب العقيدة :

- ١ - كتاب عقيدة النجاة .
- ٢ - كتاب الإسلام دين الله وفطرته التى فطر الناس عليها.

فى جانب العلوم الفقهية:

- ١ - كتاب أصول الوصول لمعية الرسول (ﷺ وآله).
- ٢ - صيام أهل المدينة المنورة.
- ٣ - هداية السالك إلى علم المناسك .

فى جانب السيرة النبوية والرد على المستشرقين:

- ١ - سيرة النبى (ﷺ وآله)
- ٢ - وسائل إظهار الحق .

فى جانب ما يجب أن يعرفه المسلم :

- ١ - النشأة الثانية.
- ٢ - الوسيلة وما إختلف فيه من السنة والبدعة.
- ٣ - الشفاء من مرض التفرقة.
- ٤ - الجفر.
- ٥ - تحذير الدين من بيع أراضى فلسطين.
- ٦ - النور المبين لعلوم اليقين ونيل السعادتين.
- ٧ - الرد على نظرية دارون.

فى جانب الأخوة الإسلامية :

- ١ - الإسلام نسب يوصل إلى رسول الله (ﷺ وآله).
- ٢ - الإسلام وطن والمسلمون جميعا أهله.

فى جانب المناسبات الدينية :

- ١ - السراج الوهاج فى الإسراء والمعراج
- ٢ - بشائر الأخيار فى مولد المختار
- ٣ - مشارق البيان فى فضائل شعبان

٤ - لبيك اللهم لبيك.

فى جانب المسرحيات الدينية :

- ١ - محكمة الصلح الكبرى.
- ٢ - العالم والتاجر والفلاح.
- ٣ - المقتصد والمصرف والفساد.
- ٤ - السياسى والحكيم والغشيم.
- ٥ - الصالح واللص والسكرى.

فى جانب الصلوات والأدعية :

- ١ - نيل الخيرات بملازمة الصلوات.
- ٢ - الفتوحات الربانية والمنح النبوية فى الصلاة على خير البرية.
- ٣ - الأدعية والاستغاثات الكبرى.

فى جانب التصوف :

- ١ - شراب الأرواح من فضل الفتاح.
- ٢ - تذكرة المرشدين والمسترشدين.
- ٣ - معارج المقربين.
- ٤ - الطهور المدار على قلوب الأبرار.
- ٥ - من جوامع الكلم.
- ٦ - الطريق إلى الله تعالى.
- ٧ - الفرقة الناجية.
- ٨ - دستور السالكين طريق رب العالمين.
- ٩ - دستور آداب السلوك إلى ملك الملوك.
- ١٠ - مصطلحات الصوفية
- ١١ - آداب أل العزائم
- ١٢ - دروس تزكية النفوس
- ١٣ - موارد أهل الصفا
- ١٤ - قبس من المضمون
- ١٥ - الصوفية والتصوف

فى جانب المواجيد:

- ١ - مواجيد شهر محرم، صفر، ربيع أول، ربيع آخر، جماد أول، جماد آخر، رجب، شعبان، رمضان.
- ٢ - المواجيد العزمية فى مواجهة الروضة الحسينية.
- ٣ - ديوان ضياء القلوب من فضل علام الغيوب.

تليفون المكتبة/

002 022 3901030

الإمام المجدد السيد محمد ماضى أبو الغزائم عليه السلام

نسبه: سليل آل البيت الطاهرين، حسنى من جهة والدته، حسينى من جهة والده.

مولده: ولد يوم الإثنين ٢٧ رجب سنة ١٢٨٦ هـ الموافق ١١/٢/١٨٦٩ م بمسجد سيدى زغلول برشيد.

وظائفه: عمل بالتدريس، ثم تدرج فى سلك الوظائف حتى صار أستاذًا للشريعة الإسلامية بكلية غردون بالخرطوم.

إقالته من وظيفته: كان يرى أن أهم وظائف الرجل الدينى الإرشاد و النصيحة للحاكمين، بل لعامة الناس، والتحذير من الوقوع فى حبائل الإستعمار فأقصاه الحاكم العام الإنكليزى من وظيفته فى ١٩ رمضان سنة ١٣٣٣هـ الموافق ١٩١٥/٨/١م.

مطالبته بعودة الخلافة : بعد أن قررت الجمعية الوطنية بأنقرة فى ١٩٢٤/٣/٢ إلغاء الخلافة الإسلامية ؛ دعا الإمام لتأسيس جماعات للخلافة الإسلامية بجميع أنحاء العالم الإسلامى، وانتخب رئيسا لجمعية الخلافة الإسلامية بمصر فى ١٩٢٤/٣/٢٠م، وناب عن شعب مصر فى حضور مؤتمر الخلافة الإسلامية الذى انعقد فى مكة المكرمة سنة ١٩٢٦م فى أشهر الحج.

دعوته: أسس جماعة آل العزائم سنة ١٣١١هـ والطريقة العزمية سنة ١٣٥٣هـ ومقرها ١١٤ شارع مجلس الشعب بالقاهرة.

مؤلفاته : تذر المكنبة الإسلامية بمئات الكتب من مؤلفاته فى التفسير، والفقه، وعلم الكلام، والتصوف، والفتاوى، والسيرة والمواجد.

انتقاله: انتقل إلى الرفيق الأعلى يوم ٢٧ رجب سنة ١٣٥٦هـ — الموافق ١٩٣٧/١٠/٣م ودفن بمسجده بشارع مجلس الشعب بالقاهرة.

خليفته الأول: ابنه الأكبر سيدى العارف بالله السيد أحمد ماضى ابو العزائم رحمته الله، شكل عمرا جديدا لدعوة الإمام ونشر تراثه العلمى، وانتقل إلى الرفيق الأعلى يوم

٢٠ ربيع الأول سنة ١٣٩٠ هـ الموافق ٢٦/٥/١٩٧٠م ودفن بمسجد والده الإمام
بشارع مجلس الشعب.

خليفته الثاني : السيد عز الدين ماضي أبو العزائم رحمته الله المحامي بالنقض، حفيد
الإمام، والإبن الأكبر للخليفة الأول، وهو شيخ الطريقة العزمية، وإمام جماعة آل
العزائم.

خليفته القائم : السيد محمد علاء الدين ماضي ابو العزائم

رقم
الصفحة

الموضوع

الإهداء

فاتحة الكتاب

الباب الأول

الطريق وآدابه. حكمة الخلق. الإخلاص في العبادة

بادرة ما يلوح لمن تفكر في نفسه وفيما حوله

التفكر في سوابغ النعم

العبادة دليل على محبة الله

الطريق - تعريف الطريق

الطريق وما أدراك ما الطريق

كثائف الجهالات على الطريق؟

بم ساد أهل الطريق

منازلات المريدين

تفاوت همم المريدين

أحوال تلك المشاهد

آداب الطريق - عم يتخلى القلب وبم يتحلى؟

أولاً: التزام أحكام الشرع

ثانياً: استئصال المعاصي القلبية

١ - الحسد

٢ - الرياء

٣ - العجب

دلالة المعاصي القلبية من الحديث

الجوارح المقابلة لأبواب الجنة والنار

فتح أبواب الجنة

فتح أبواب النار

الباب الثاني

مراحل الطريق

ما يجب أن يحصله المسافر في طريق الله

أولاً: الاستعداد قبل السير

ثانياً: أن يحصل فقه الشريعة عقيدة وعبادة

١ - علم التوحيد

٢ - علم العبادات

ثالثاً: أن يحصل من القرآن ما يكفيه

رابعاً: أن يجاهد نفسه في ذات الله

الحث على اتباع سنة خير المرسلين

اتباع السنة واجب لصحة الإسلام

ما المراد بالسنة

فرائض الإيمان وشعبه

فرائض الإيمان

شعب الإيمان

البحث عن المرشد الدال على الله

أوصاف المرشد
أخذ العهد على المريدين
البيعة في الكتاب والسنة
الجنة وفاء من الله بعهدة للمؤمنين
كيفية أخذ العهد

الباب الثالث

أصول الطريق
العقيدة - العقيدة هي أصل الأصول
العقيدة في أقوال أئمة الطريق
المنكرون لأقوال أئمة الطريق
العقيدة هي الحجة
الطريقة المستقيمة
الطريقة هي المحجة
بم تصلح الطريقة
الشرعية والحقيقة طريق واحد
أدعياء الطريق وتأويلاتهم
الرد على هذه التأويلات
مكائد أدعياء الطريق وحيلهم
الرد على هذه المكائد والحيل
الذين يحصلون علم الشريعة ولا يعلمون به
المعرفة بالله تعالى
الرضا هو المعرفة بالله تعالى

حقيقة المعرفة حياة القلب وموت النفس
مشارب أهل الطريق

الباب الرابع

أساس الطريق

أولا : تحصيل العلم

العلم فى الكتاب

العلم فى الحديث

ما المقصود بالعلم

العالم الربانى يهذى إلى الطريق

ثانيا : العمل بالعلم

العلم وسيلة للعمل

ترك العمل بالعلم خسران

العالم الذى يعمل بعلمه

العمل بحكم ما أنزل الله

حكم من حكم الذوق والحال والوجد

واجب الوقت

العلماء بالدينيا الجهلاء بالآخرة

العلماء بالله

أهل الطريق يهتدون بهدى السلف الصالح

ما اختلاف الطريق

تحذير

تعريف بالإمام

